مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

شرح
الزيارة الجامعة الكبيرة

عبدُ الحليم الغِـزّي

منشـورات موقع زهرائيّـون

شرح الزيارة الجامعة الكبيرة

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في ثلاثين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 10 / 06 / 2010

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمْدُ للهِ والصّلاة عَلىَ رَسولِ الله وآلِهِ آلِ الله

واللَّعْنُ على أعدائِهم وأَعْدَاء شِيعَتِهم أَعْدَاء الله إلى يَومِ لقاءِ الله

الحلقة التاسعة والعشرون

معنى بِأَبِي أَنتُم وَأُمّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي . . . . .

سلامٌ من الله عليكم ورحمةٌ وبركات أحبابَ عليٍّ وآل عليّ أيُّها المُنتَظِرون إمامهم صلوات الله عليه، هذه الحلقة التاسعة والعشرون من برنامجنا الزيارة الجامعة الكبيرة، المَقطَعُ الذي أتناولهُ في هذه الحلقة أتلوه على مسامعكم: **بِأَبِي أَنتُم وَأُمّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي** . . . . .

المقطع السابق كان قد انتهى في قول الزيارة: **وَجَعَلَنِي مِمَّن يَقتَصُّ آثارَكُم وَيَسلُكُ سَبِيلَكُم وَيَهتَدِي بِهُداكُم وَيُحشَرُ فِي زُمرَتِكُم وَيَكِرُّ فِي رَجعَتِكُم وَيُملَّكُ فِي دَولَتِكُم وَيُشَرَّفُ فِي عافِيَتِكُم وَيُمَكَّنُ فِي أَيّامِكُم وَتَقِرُّ عَينُهُ غَداً بِرُؤيَتِكُم**، ثُمَّ تستمرُ الزيارة في هذا المقطع الذي سأتناوله في هذه الحلقة:

بِأَبِي أَنتُم وَأُمّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي، مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم، مَوالِيَّ لا أُحصِي ثَنائَكُم وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم وَأَنتُم نُورُ الأَخيارِ وَهُداةُ الأَبرارِ وَحُجَجُ الجَبَّارِ، بِكُم فَتَحَ الله وَبِكُم يَختِمُ وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ وَبِكُم يُمسِكُ السَّماء أن تَقَعَ عَلى الأَرضِ إلاّ بِإذنِهِ وَبِكُم يُنَفِّسُ الهَمَّ وَيكشف الضُّرَّ، وَعِندَكُم ما نَزَلَت بِهِ رُسُلُهُ وَهَبَطَت بِهِ مَلائِكَتُهُ وَإِلى جَدِّكُم (وإذا كانت الزيارة نتوجه بها إلى أمير المؤمنين فنقول: **وإلى أَخِيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الأَمِين**) **بُعِثَ الرُّوحُ الأَمِين آتاكُمُ الله مالَم يُؤتِ أَحَداً مِنَ العالَمِينَ، طَأطَأَ كُلُّ شَرِيفٍ لِشَرَفِكُم وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّرٍ لِطاعَتِكُم وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضلِكُم وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم وَأَشرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِكُم وَفازَ الفائِزُونَ بِوِلايَتِكُم، بِكُم يُسلَكُ إِلى الرِّضوانِ، وَعَلى مَن جَحَدَ وِلايَتَكُم غَضَبُ الرَّحمنِ بِأَبِي أَنتُم وَأُمّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي، ذِكرُكُم فِي الذَّاكِرِينَ وَأسماؤُكُم فِي الأَسَّماء وَأَجسادُكُم فِي الأَجسادِ وَأَرواحُكُم فِي الأَرواحِ وَأَنفُسُكُم فِي النُّفُوسِ وَآثارُكُم فِي الآثارِ وَقُبُورُكُم فِي القُبُورِ، فَما أَحلى أَسمائكُم وَأَكرَمَ أَنفُسَكُم وَأَعظَمَ شَأنَكُم وَأَجَلَّ خَطَرَكُم وَأَوفى عَهدَكُم وَأَصدَقَ وَعدَكُم، كَلامُكُم نُورٌ وَأَمرُكُم رُشدٌ وَوَصِيَّتُكُم التَّقوى وَفِعلُكُم الخَيرُ وَعادَتُكُم الإِحسانُ وَسَجِيَّتُكُمُ الكَرَمُ وَشَأنُكُمُ الحَقُّ وَالصِّدقُ وَالرِّفقُ وَقَولُكُم حُكمٌ وَحَتمٌ وَرَأيُكُم عِلمٌ وَحِلمٌ وَحَزمٌ، إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأَصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ.**

المقطع المتبقي من الزيارة الجامعة الكبيرة سيكونُ من حصة الحلقة الأخيرة من حلقات هذا البرنامج في يوم غد إن شاء الله تعالى، هذا المقطع، قبل أن أشرعَ بتفاصيلهِ هناكَ ميزتان في هذا المقطع:

الميزة الأولى: أنَّ هذا المقطع أيضاً جاء بحسب قانون الطيِّ والنَشر، المقطع من بدايتهِ بعد التفدية: **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي** – من هنا: **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم**، إلى أن وصلنا إلى قول الزيارة الشريفة: **وَرَأيُكُم عِلمٌ وَحِلمٌ وَحَزمٌ**، كُلُّ هذه المعاني هي نشرٌ، نشرٌ في وجهٍ من وجوه المعاني لقانونٍ أو لعبارةٍ طوت كُلَّ هذه المعاني، العبارة التي طوت كُلَّ هذه المعاني آخرُ عبارةٍ في هذا المقطع: **إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ**، هذه العبارة طوت كُلَّ المعاني التي جاءت مذكورةً في هذا المقطع بنحوٍ تفصيلي، كُلُّ المقاطع التي تقدَّمت لم تكن قد جاءت بلسان النشر التام، قلتُ هناك طيٌّ وهناك نشر، والنشر على نوعين: نشرٌ تام ونشرٌ ناقص ليس بتام، المقاطع التي تقدمت وما بقيَ من كلامٍ في الزيارة الجامعة الكبيرة جاءت بنحو النشر الناقص، النشر الناقص يعني النشر الجزئي، ليس نشراً كُليَّاً للمعاني، وإلاَّ إذا كانت القضية تقع في هذا الأفق في أفق النشر الكُليِّ فهذا يعني أنَّ الزيارة الجامعة الكبيرة سوف لن تنتهي ألفاظها لن تكون محدودة الألفاظ، حينَ نقرأُ في هذا المقطع – **مَوالِيَّ لا أُحصِي ثَنائَكُم وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم** – القضية لا يمكن أن تُحصَرَ بالألفاظ، إذاً ما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة وفقاً لقانون الطي والنشر في الألفاظ والمعاني فما جاء في مقام النشر هو في مقام النشر الجزئي لا في مقام النشر الكُلي، لأنَّ مقام النشر الكُلّي يقتضي أنَّ الزيارة سوف لن تنتهيَ ألفاظها وستدخلُ في دائرة المالا نهايات واللغاتُ لا يمكن أن تتصفَ بهذا الوصف، اللغات اللغة العربية وسائرُ اللغات الأخرى هي واقعة في حيز النهايات لا في حيز المالا نهايات، ولذلك اللغات غيرُ قادرة على الإحاطةِ بتلكم المعاني المحيطة بهذا الكون، المعاني المحيطة بهذا الكون معاني تتجاوز النهايات، اللغات لا تستطيعُ أن تُحيطَ بها، كقضية الإبريق والبحر فإنّ الإبريقَ لن يستطيعَ أن يحيط بالبحر، البحر يُحيطُ بالإبريقِ وبسائر الأوعية الأخرى وبكل الأباريق.

معنى أهل البيت معنىً يُحيطُ بلغة العربِ وبكُلِّ اللغات وبكل الألسنة، كُلُّ الكائنات سبحت بتسبيحهم، لغة الوجود تنتهي عندهم، ولغة الوجود لها نهاية، لغة الموجودات لغة التسبيح لها نهاية، هذه النهاية تقفُ عندَ حدودهم عند أبوابهم، أما حقيقتهم النورية الأولى فهي محيطةٌ بكل تسبيح ومُحيطةٌ بكل الألسنة، لذلك قانون الطيّ والنشر هنا في حدود الألفاظ والمعاني حينما يأتي الكلامُ عن النشر فإنَّما يأتي عن النشر التجزيئي عن النشر الجزئي، العبارة هذه الموجودة في آخر هذا المقطع – **إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ** – هذه طيٌّ لكل التفاصيل التي بدأت من قول المقطع – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ**

بِكُم – إلى قولهِ – **وَرَأيُكُم عِلمٌ وَحِلمٌ وَحَزمٌ** – هذه العبارة الموجودة في آخر هذا المقطع – **إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ** – إذا جمعناها مع عبارةٍ أخرى أيضاً جاءت بلسان الطي جاءت بطريقة الطي – **وَالحَقُّ مَعكُم وَفِيكُم وَمِنكُم وَإِلَيكُم وَأَنتُم أَهلُهُ وَمَعدِنُهُ** – هذان هما المفتاحان الرئيسان في الزيارة الجامعة الكبيرة، هاتان الجملتان، هاتان العبارتان تجمعانِ كُلَّ المعاني الموجودة في الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَالحَقُّ مَعكُم وَفِيكُم وَمِنكُم وَإِلَيكُم وَأَنتُم أَهلُهُ وَمَعدِنُهُ**، هذا المفتاحُ الأول. المفتاحُ الثاني: **إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ**، إذا جمعنا بين هذين المفتاحين فإننا قد جمعنا كُلَّ المعاني التي جاءت في الزيارة الجامعة الكبيرة، كُلُّ المعاني تتفرع عن هذين المفتاحين، هذه النقطة الأولى التي أردتُ الإشارة إليها بخصوص المقطع الذي سأتناولهُ في هذه الحلقة.

النقطة الثانية: هذا المقطع يتحدَّث عن حالة الترقي الفكري والعقائدي لِمن كان قد تلبَّسَ بلباس الدرجة الأولى من درجات الإيمان، المقطع الذي تحدَّثتُ عنه في الحلقة الماضية كما عبَّرتُ عنه هو هوية التشيع، وقلتُ بأنَّ هذه المعاني والحقائق التي ذُكِرت في المقطع المتقدم هي عبارة عن أجزاءٍ إذا ما رُكِّبَت وجُمعت بشكلٍ صحيح ووضِعت هذه الأجزاءُ في مواضعها الصحيحة ارتسمت عندنا وتشكلت عندنا صورة الشيعي في الدرجة الأولى من درجات الإيمان، إذا وصلَ الإنسانُ إلى هذا الحد إلى هذا الأفق، إلى أفق الدرجة الأولى من درجات الإيمان وتَجَمَّعت في نفسهِ في روحهِ في قلبهِ تجمعت هذه الحقائق التي ذكرتها الزيارة الجامعة وفُتِحَ له بابُ التوفيق فإنَّه سيترقى وتَرقي المؤمن وهو في الدرجة الأولى لا يعني أنَّه سينالُ أجزاءً جديدة في صورةٍ جديدة للدرجة الثانية من درجات الإيمان، نفسُ الأوصاف التي جاءت مذكورة في المقطع المتقدم والتي عبرت عنها بهوية التشيع نفسُ هذه الأجزاء ستبقى ثابتة لكنها تتعمق لكنها تترقى، حين نقول: **كلاَمُكم نور**، نورية كلامهم ستكونُ أشد، نورية عقيدتهم ستكون أشد في نفس تلكم الأجزاء في نفس تلكم البيانات التي تقدمَ الكلام عنها، والإيمانُ بكل أجزائهِ يدورُ مدار هذه الأجزاء وهذه الأوصاف وهذه الحالات التي تحدَّثَ عنها المقطع المتقدم من مقاطع الزيارة الجامعة الكبيرة.

المقطع هذا الذي نحنُ بصددهِ إنَّما هو تأكيدٌ عميقٌ للترقي الذي ترتقي إليه نفوس المؤمنين في معرفة أهل البيت، لذلك بعد أن اتصف المؤمنُ بالصفات المتقدمة إلى أن قال في دعائهِ – **وَتَقِرُّ عَينُهُ غَداً بِرُؤيَتِكُم** – وقرارُ العين وقُرَّةُ العين إنَّما يكونُ بالاطمئنان لأن النفوس التي لا تحملُ معنى الاطمئنان، الإنسان حينما يكونُ في حالة فَزَع في حالة جَزَع في حالة هَزَع حينما يكون في مثل هذه الحالات فإنَّ عينهُ لن تكونَ مستقرة، إذا ما نظرتَ في عين إنسانٍ خائفٍ أو وجل أو مضطرب إذا نظرت في بؤبؤهِ في بؤبؤ العين ستجد اضطراباً في عينهِ، قرار العين واستقرارها واستقرارُ بؤبؤ العين واستقرارُ إنسان العين وهو سوادها هذا القرار

إنما يأتي من اطمئنان النفس، هذا القرار والاستقرار إنما يأتي من هدوء النفس من سكينتها ومن وقارها، وسكينةُ النفس ووقارُ النفس إنما يأتي من التعلقِ بالله سبحانه وتعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ حينَ تتعلقُ القلوب بذكرِ الله فإنَّها تطمئن ويأتيها الخِطابُ ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ حينَ تتعلق القلوب وترجعُ القلوبُ إلى الله حينئذٍ يكونُ قد حَلَّ فيها الاطمئنان، إذا حَلَّ الاطمئنانُ فيها فإنَّ ذلك يقودُ إلى قُرَّةِ العين – **وَتَقِرُّ عَينُهُ غَداً بِرُؤيَتِكُم** – فيبدأ المقطعُ الجديد:

بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي – هذه التفدية تحدَّثتُ عنها في يوم أمس لكن هذه التفدية تختلف عن التفدية السابقة، التفدية السابقة كيف بدأت؟ – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَأَهلِي وَمالِي وَأُسرَتِي** – هذه التفدية تختلف فيها زيادة – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي** – لم يكن قد ذَكَرَ الزائرُ نفسه في المقطع المتقدم، في المقطع المتقدم – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَأَهلِي وَمالِي وَأُسرَتِي** – جميع ما يمكن أن يتعلق بالإنسان، وهو قد ذَكَرَ نفسهُ في الجملةِ لأنَّ نفسهُ متعلقة بِكُلِّ هذه الأجزاء – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَأَهلِي وَمالِي وَأُسرَتِي** – هذه جميعُ الأجزاءِ المتعلقة بحياتهِ فهي نفسهُ لكنه لتأكيد المعنى ولتعميق المعنى لأن المقطع الآتي مقطع أعمق من المقطع المتقدم، لتعميق الصورة لذكر كُلِّ المظاهر ذكرَ نفسهُ – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي** – لأنَّ أهلي ومالي وأسرتي كُلُّ هذه المعاني منطوية في نفسي أمَّا أبي وأمي فهما الأصل وأنا الفرع لذلك سيأتينا بعد قليل – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي** – تكرار لنفس هذه التفدية لأنها في ضمن هذا المقطع، في ضمن هذا المقطع المعرفي.

لكن بعد أن ينتهي هذا المقطع يأتينا التفدية بشكلٍ آخر – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي** – لأنَّ نفسي هنا هي قد طوت المعاني المتبقية، فنفسي هي التي جمعت المتعلقات الأخرى وأبي وأمي لأنهما هم الأصل – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمالِي، مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – هذه العبارات كُلُّها تشيرُ إلى حقيقةٍ واحدة وإن اختلفت التعابير – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم** – هذا تعبير – **وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم** – هذا تعبيرٌ ثاني – **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – هذا تعبيرٌ ثالث، هذه تعابير مختلفة، لكن كُلُّ هذه التعابير تتحدث عن حقيقةٍ واحدة، تتحدث عن مضمونٍ واحد، المضمون الواحد الذي تتحدث عنه هذه التعابير هو صلتنا بالله سبحانه وتعالى، موقفنا بين يدي الله سبحانه وتعالى، تكليفنا، علاقتنا، عقيدتنا بالله، عَبِّر ما شئت، توحيدنا لله، عبادتنا لله، عقيدتنا بالله، علاقتنا بالله، صلتنا بالله، حُبُّنا لله، قُل ما شئتَ من العبارات، هذه المقاطع القصيرة المختصرة الموجزة وهي من ورائع الحِكَم وتدخل فيما تقدمَ في قولنا ونحن نخاطبهم – **وَفَصلُ الخِطابِ عِندَكُم** – هذه مصاديق من فصل الخطاب، قولٌ فيصل،

قولٌ قاطع – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – كُلُّها تحملُ معنىً واحداً أننا لا نستطيعُ أن نصلَ إلى الله إلاَّ من طريقهم، كُلُّ هذه العبارات، وإنما تتحدثُ عن مقاماتٍ للنفس البشرية – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم** – إذا كانت النفسُ البشرية وإذا كان القلبُ البشري في هذا المقام أنَّه يريدُ الله في مقام الإرادة أنَّ القلبَ بكل نيتهِ، أنَّ القلب بكل محتواه تعلقت إرادتهُ بالوصول إلى الله، كيف يستطيعُ هذا القلب أن يُحَقِقَ هذه الإرادة؟ كيف يستطيع أن يحقق هذا الهدف؟ كيف يستطيع أن يصلَ إلى هذه الغاية؟ – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم** – لماذا من أراد الله بدأ بكم؟ لقانونٍ ثابت.

هذا القانون يذكرهُ شيخنا الكليني رضوان الله تعالى عليه في كتابهِ الكافي الشريف، هذا القانون عن أبان بن تغلب، هذا الجزء الأول من كتاب الكافي الشريف باب أن الحجة لا تقوم لله على خلقهِ إلا بإمام، أبان بن تغلب ينقل عن إمامنا الصادق، ماذا يقول إمامنا الصادق؟ – **الحُجَّةُ قبلَ الخَلق ومَعَ الخَلق وبَعدَ الخَلق** – يعني أنَّ الموجودَ لا يمكن أن يتحقق وجودهُ إلا بوجود الحُجَّة، فالحُجَّة قبل الخلق قبل وجودهِ قبلَ وجودِ هذا الإنسان، والحجةُ مع الخلق حين تَكوَّن، والحجة بعد الخلق حتى بعد أن يُعدم، لو فرضنا أن يُعدم أو يتحول أو ينتقل من عالمٍ إلى عالم فإنَّ الحُجَّة ثابتة، الكلمة هنا تُشيرُ من وراء ستارٍ رقيق إلى نفس كلمة سيد الأوصياء – **ما رأيتُ شيئاً إلاّ ورأيتُ الله قبلهُ وبعدهُ ومعهُ وفيه** – مضامين عميقة جداً، نفسُ هذه الكلمة كما قلتُ تشيرُ من وراء ستارٍ رقيق إلى نفس هذه الحقيقة – **الحُجَّةُ قبلَ الخَلق ومَعَ الخَلق وبَعدَ الخَلق** – من أرادَ الله بدأ بكم، إذاً الحُجَّةُ مُحيطةٌ بنا، فإذا أردنا أن نتوجه إذا أردنا الله سبحانه وتعالى كما قلت إذا كان القلب في هذه الحالة النفسية في حالة إرادة الله سبحانه وتعالى فعليه أن يبدأ بالحُجَّة وإنما يبدأُ بالحُجَّة لأنَّ الحُجَّة كانت وقبلهُ ومعه وبعده القضية أبعد من مسألة الزمانِ والمكان، الحُجَّةُ قبل الخلق، قبلَ الخلق الزمانُ والمكانُ إنما هو من أجزاء الخلق والحُجَّة سابقةٌ على الزمانِ والمكان، الحُجَّة قبل الخلق ومع الخلق، مع الخلق إنَّها مُمَازِجَةٌ للخلق.

نحنُ نقرأُ في صفات التوحيد أنَّهُ سبحانهُ وتعالى داخلٌ في الأشياء لا كشيءٍ في شيء، لا بنحو المُلامسة ولا بنحو المُمَازجة وهذا المعنى يتجلى في أسمائهِ الحُسنى بالنحو الذي يتناسب مع المقام الحدوثي والمقام الخلقي للأسماء الحُسنى، المعنى الذي يتوجهُ به النبي الخاتم إلينا صلى الله عليه وآله فيقول: تَخَلَّقوا بأخلاق الله، نحنُ أيضاً نتخلَّقُ بأخلاق الله نتصفُ بصفات الله تكويناً وتشريعاً، تكويناً صفةُ العلم وصفة السمع وصفةُ البصر من أينَ جئتُ بها أنا أو من أينَ جئتَ بها أنت؟ أليست هذه مجالي لعلم الله ولسمع الله ولبصر الله سبحانه وتعالى؟! هذا في الجانب التكويني، وفي الجانب التشريعي يُطالبنا التشريع بالكرمِ بالصدقِ بالطهارةِ كُلُّ هذه المعاني أليست هي من صفات الله سبحانه وتعالى؟! نحنُ نتصفُ بصفات الله تكويناً

وتشريعاً ولكن بحسبنا، إلهي أنا أنا وأنتَ أنت، أنا أنا في مقامي المحدود الضيق وأنتَ أنت في مقامك الذي لا تُدركهُ العقول، أنتَ الباقي وأنا الفاني، أنت الدائمُ وأنا الزائل، أنتَ الحيُ وأنا الميت، أنتَ الربُّ وأنا المربوب، وأنتَ العظيمُ وأنا الصغير، وأنتَ الكبيرُ وأنا الحقير، هذه المعاني التي تتردُ كثيراً في مناجيات وأدعية أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، الحُجَّةُ قبلَ الخلق ومع الخلق وبعد الخلق كما يقولُ إمامنا الصادقُ صلوات الله عليه في رواية الكافي لشيخنا الكليني رضوان الله تعالى عليه.

مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم، البداية منكم والكلام هنا ليسَ عن حديثٍ في جانبِ الفكرِ والعلم، البداية علمياً منهم، نحنُ في كل خطوةٍ من خطواتنا إذا أردنا أن نُدرِكَ الصواب وإذا أردنا أن نفوزَ بالحقيقة فعلينا أن نأخذَ بما قالوا وبما بيّنوا وبما شرحوا وفَصّلوا وشَرّعوا، لكن القضية هنا أعمق من ذلك، القضية هنا قضية حقائق الموجودات، القضية هنا تتحدث عن توجه القلب، القضية هنا تتحدث عن مكنون بواطن الضمير الإنساني وهذه ليست خاصةً بالإنسان فقط، مع كل الموجودات، لكننا لا نريدَ الحديثَ عن غير الإنسان كلامنا عن أنفسنا فهو هذا الذي يتعلقُ فيه مصيرنا وترتبطُ به حياتنا – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم** – البداية مع أهل البيت والنهاية معهم أيضاً، سيأتينا – **بِكُم فَتَحَ الله وَبِكُم يَختِمُ** – القضية لا تقف عند البداية، الحُجَّة قبل الخلق ومعَ الخلق وبعد الخلق – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم** – بدأ بكم لأنَّ الإنسانَ لابد أن يبدأ من نقطةٍ ما، فإذا بدأ من نقطةٍ ما فإن البداية بهم، وهم معهُ وقبلهُ وبعده. فالحُجَّةُ، هذا قانون أحفظوه: **الحُجَّةُ قبلَ الخلق ومع الخلق وبعد الخلق.**

مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم – ومن وَحَّدُه من طلبَ توحيد الله، من أراد أن يعرفَ كيفَ يُوَحِّدُ الله سبحانه وتعالى لابد أن يأخذ عنهم – **وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم** – قَبِلَ عنكم في المستوى العلمي والفكري والعقائدي، وقَبِلَ عنكم في المستوى العبادي والروحاني والنوراني، التوحيدُ لا يمكن أن يصدقَ إلاّ بالاعتقادِ بهم وإلا بالتمسكِ بعروتهم وهذا هو التوحيد، أمَّا أولئك الذين يدّعونَ بأنهم على التوحيد وهم لا يتمسكون بهم إنهم في أظلمِ ظلمات الشرك، أولئك هم الكافرون، أولئك هم المشركون، الذينَ تركوا التمسك بعليٍّ وآل عليّ، التوحيدُ من هنا يبدأ والتوحيدُ هنا ينتهي – **بِكُم فَتَحَ الله وَبِكُم يَختِمُ** – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – العبارات كلها متساوية في الدلالة لكنها تتحدث عن مقاماتٍ وعن حالاتٍ روحانيةٍ ونفسيةٍ لوجدان الإنسان لقلب الإنسان لضمير الإنسان، مرةً يكون القلب في مقام إرادة الله فتقول الزيارة: **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم**، ومرةً يكون القلب في مقام طلب التوحيد تقول الزيارة: **وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم**، والذي يُريدُ الله يُوَحِّدُ الله، والذي يُوَحِّدُ الله يُريدُ الله – **وَمَن قَصَدَهُ** – والذي يقصدُ الله يريد الله ويُوَحِّد الله وكذلك الذي يوَحِّدُ الله يريدهُ ويقصده، والذي يريدهُ يوحِّدهُ

ويقصدهُ، المعاني متداخلة فيما بينها، الفوارق جداً دقيقة في المقامات القلبية وفي المقامات المعنوية لنفس الإنسان – **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – من قصدَ، من نوى، من عَزَمَ، من أرادَ، من تعلق قلبهُ بذلك المقصد فكيف يصل؟ – **تَوَجَّهَ بِكُم** – هذه الباء باءُ السببية – **تَوَجَّهَ بِكُم** – توجه بكم أي أن البوصلة الاتجاه إذا أردنا أن نأخذ البوصلة كمثال، البوصلة هم، والجهة التي تشير إليها البوصلة هم، والسهم المتحرك في داخل البوصلة هُم أيضاً، هذه الباء باءُ السببية – **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – من قصدَ الله سبحانه وتعالى مادة التوجه هم، توجه بهم، من دونهم لا يستطيع الإنسان أن يصلَ إلى الله.

أُقَرِّبُ المعنى، المُصَلي حينُ يقفُ للصلاة تارةً يصلي وهو لا يدري ماذا يصنع يتذكر، قد يتذكر وقد لا يتذكر أنه ابتدأ بتكبيرة الإحرام لا يشعر إلا وهو قد دخل في التسليم وهذا حالُ الكثيرين من أمثالنا، يعني في أحسن أحوالهِ يتذكر أنَّه كَبَّرَ تكبيرة الإحرام ما يشعر إلا وهو قد دخل في التسليم، لأن الصلاة تحريمها التكبير وتحليلها التسليم، بدايتها التكبير ونهايتها السلام، فالمُصَلّي، وفي بعض الأحيان حتى ينسى تكبيرة الإحرام، ينسى أنَّه قد كَبَّرَ حينما يريد أن يستحضر لا يتذكر بأنَّه قد كَبَّرَ أو لم يكن قد كَبَّرَ، هو كَبَّرَ لكنه لا يتذكر لأنه كان في غفلة عميقة في سبات في أثناء الصلاة، تارةً المُصلي هذا حاله يتذكر تكبيرة الإحرام ويلتفت إلى أنَّه الآن في مقام التسليم، ومرةً أخرى في حال أحسن أنَّ المُصلي يلتفت إلى أنَّه يُصلي ويصلي صلاة الظهر مثلاً على طول الصلاة هو يستحضر هذه الفكرة أنَّه الآن هو يصلي وصلاة الظهر فقط هذه الفكرة موجودة عنده، كحال البنَّاء الذي يبني حائط وهو أثناء ما يبني يعلم بأنَّه الآن هو يبني حائطاً، أو كحال النجار حين يصنع كرسياً فهو يعلم في حال صناعتهِ للكرسي هو يصنعُ كرسياً في هذا الحال، وهذا حالهُ أحسن من الأول، وهناك حالة أفضل من هذه الحالة وهو أن يلتفت إلى أنَّه هو يقرأ مثلاً يلتفت إلى أنَّه قرأ الفاتحة قرأ التوحيد وصل إلى الركوع السجود ذكرَ ذِكرَ الركوع وذكر السجود وسائر التفاصيل الأخرى مُلتفت إلى أنَّه يأتي بهذه الأشياء، لكن دون أن يلتفت إلى معانيها، وهناك مرتبة أعلى وهو أنَّه يلتفت إلى ما يقول، وهؤلاء أيضاً على درجات كل واحد بحسبهِ كل شخص يلتفت إلى معاني ما يقول بحسب مداركهِ بحسب فهمه، هناك من يتعلق بالعبارات المحضة وهناك من يذهب إلى ما هو أبعد من العبارات إلى الإشارات إلى المعاني العميقة في هذه الألفاظ، بعبارة أخرى يفكر في أسرار العبادة في أسرار الصلاة، في أسرارها الفعلية وفي أسرارها القولية، وهناك من يكون أعمق من ذلك وهو أنَّه لا يلتفت إلى الألفاظ ولا يلتفت إلى الأفعال وإنما يلتفت إلى المَحضَر الإلهي أنَّه في مَحضر الله، وهذه قضية أعمق، لأن الالتفات إلى الألفاظ سيجعل الإنسان مُعرِضاً عن المحضر الإلهي وإن كان هو في المحضر الإلهي لكنه سيكون مُعرِضاً عن المحضر الإلهي بسبب التفاتهِ إلى الألفاظ وتعلقه بالمعاني المرتبطة بالألفاظ والأقوال وبالأفعال، الحالة الأعمق أنه يكون ملتفتاً إلى المحضر الإلهي.

وهناك حالات أعمق من هذا، وهذه أمور مذكورة في مضانها لا أريد الحديث عن هذا الموضوع لكنني وصلت إلى هنا: وصلت إلى أنَّ المصلي ملتفت إلى نفسهِ وإلى صلاتهِ وهو في المحضر الإلهي، هناك حالات أعمق أنَّهُ لن يلتفتَ إلى نفسهِ وإلى صلاتهِ وإنما لا يجدُ من حولهِ إلا المَحضَر الإلهي هو في محضر الله سبحانه وتعالى، وتلك حالات خاصة للأولياء لأصحاب المراتب العالية في المعرفة والإيمان من خواص خواصِ أصحاب أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لكن في هذه الدرجة والإنسانُ ليس ملتفتاً إلى أسرار الألفاظ وإلى أسرار الأفعال وإنما هو ملتفتُ إلى وجوده وإلى صلاتهِ في محضر الله سبحانه وتعالى، هذا الشعور وهذا الإحساس هذه الحالة النفسية المُحيطة به، هي هذه التي يمكن أن نسميها بمعنى الصلاة، هي هذه الصلاة، الصلاة هي هذه، حين يُعَبَّرُ عن الصلاة في كلمات المعصومين بأنَّها معراج المؤمن، معراج المؤمن بهذا المعنى، هذه أولُ درجات المعراج أول درجات العروج حينما يكون العبد ملتفت إلى محضر الله سبحانه وتعالى، ملتفت بعقلهِ بقلبهِ بوجدانهِ بإحساسهِ، في كل عبادة، في كل عملٍ من الأعمال ما لم نستحضر هذا المعنى أننا في جو المعصوم صلوات الله وسلامه عليه، أننا في دائرة نورية المعصوم فإنَّ الأعمال ستكون ناقصة، هذا المراد: **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – أننا حين نقصدُ الباري سبحانه وتعالى لابد أن نكون في لباسٍ سابغة كما مرَّ علينا في يوم أمس في تعقيباتِ فريضة الفجر والداعي يدعو مستعيذاً بالله سبحانه وتعالى:

مِن شَرِّ كُلِّ غاشِمٍ وطارِق مِن سائرِ من خلقتَ وما خلقتَ من خلقك الصامت والناطق في جُنَّةٍ من كُلَّ مَخوفٍ بلباسٍ سابغة ولاء أهل بيت نبيك، لباس سابغة، اللباس السابغة، اللباس التي تغطي جميع الإنسان، وهنا الحديث عن لباس سابغة ليس لباس كلباس الثياب التي تغطي الأجزاء التي يجب أن تُغطى من البدن، يجب شرعاً أو عُرفاً أو ذوقاً قل ما شئت، الإنسان يغطي أجزاء بدنهِ من هذه الأجزاء ما يجب تغطيتها شرعاً، منها ما يجب تغطيتها عُرفاً، منها ما يجب تغطيتها ذوقاً، ومنها ما يجب تغطيتها تَجَمُّلاً وتَحَسُّناً طلباً للتجمل، لكن الحديث في هذا الدعاء عن لباس سابغة تغطي وجود الإنسان من شر كل غاشمٍ وطارق من جميع ما خلقَ الله سبحانه وتعالى، من شر كل صامتٍ وناطق كما قال الدعاء، نحنُ بحاجة إلى لباسٍ سابغة، مثل ما نحنُ بحاجة إلى لباسٍ سابغة من شر كل غاشمٍ وطارق تغطي كل وجودنا نحنُ بحاجة إلى لباسٍ سابغة، هذه اللباس السابغة، هذا اللباس السابغ الذي يغطينا لأجل أي شيءٍ؟ لأجل أن يغطي نقائصنا، لأجل أن يغطي ظُلمتنا، لأجل أن يغطي جهلنا، نحنُ بحاجة إلى نوريةٍ، هذه النورية تحيط بنا إذا أحاطت بنا هذه النورية بواسطة هذه النورية نستطيع أن نتوجه إلى الله، كما مرَّ علينا مثلاً في سورة الحديد ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ نوراً

فُسِّرت في روايات أهل البيت عليّاً صلوات الله عليه، إماماً معصوماً، الحجة بن الحسن ﴿**وَيَجعَل لَّكُم نُوراً تَمشُونَ بِهِ**﴾ هذا المشي ليس المشي الجسدي، هذا المشي مشيُ العقل مشيُ القلب مشيُ الوجدان مشيُ الحقيقة، هذا ليس نوراً للمشي الجسدي حتى يكون هذا النور نوراً جزئياً لابد أن يكون هذا النور نوراً كلياً محيطاً بعقولنا محيطاً بقلوبنا محيطاً بوجودنا حتى نستطيع أن نمشيَ به أن تتحرك حقيقتنا في جادة الله سبحانه وتعالى – **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – لابد أن تتصلَ القلوبُ بهم والعقول بهم حتى نستطيع أن نتوجه إلى الله وهذا هو التوحيد.

لذلك قلتُ قبل قليل الذين لا يتمسكون بهم فإنَّهم ما هم على التوحيد والتوحيدُ براءٌ منهم، التوحيدُ هو هذا، توحيدُ الله لا يكونُ بحسب مزاج ابن تيمية مثلاً أو بحسب ذوق محمد بن عبد الوهاب أو بذوقِ أي شخصٍ آخر في هذا الوجود، لابد أن يكون بحسب موازين مُحَمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وموازين مُحَمَّد بن عبد الله صلى الله عليه وآله يبيّنها أوصيائُه وهذا بيانُ أوصيائهِ – **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – التوحيد هو هذا، لابد أن نكون مُحاطينَ بنوريةٍ هي نورية الإمام المعصوم صلوات الله عليه، ولذلك نحن نُخاطب الإمام الحُجَّة في زيارتهِ الشريفة، هذه زيارة من الزيارات التي يُزارُ بها إمام زماننا وهي خرجت من الناحية المقدسة، هذه الزيارة معروفة بزيارة النُدبة غير دعاء النُدبة لا يشتبه عليكم، هذه زيارة النُدبة خرجت من الناحية المقدسة إلى أبي جعفرٍ محمد بن عبد الله الحميري رضوان الله تعالى عليه، ويستحَبُّ أن تُقرأ في السرداب المقدس في سامراء، هذا هو الجزء الثاني بعد المئة من كتاب بحار الأنوار، في هذه الزيارة نُخاطِبُ الإمام الحُجَّة فماذا نقول؟

يا وِقايةَ الله – وقاية، يا وِقاية الله، هذا النور المحيط بنا الذي يقينا من ظُلمَتِنا ومن جهلنا ومن ذنوبنا ومن كل نقصٍ – **يا وِقايةَ الله وَستَرَه** – وهذا السَتر الذي يستر عيوبنا، إذا أردت أن تفوز بوقاية الله توجه إلى الحُجَّة بن الحسن، إذا أردت أن تفوز بسترِ الله تمَسَّك بالحُجَّة بن الحسن – **يا وِقايةَ الله وَستَرَه** – بعد الوقاية والستر – **وَبَرَكَته** – وتأتي البركة هناك، يأتي الفضل والجود والكرم والرحمة والمحبة، فهو أعطفُ علينا وأبرُّ منا وأرأفُ بنا من الأم الرؤوف هكذا تصفهُ الروايات صلوات الله عليه، ماذا نقول له – **يا وِقايةَ الله** – أنت وقايتي – **وستَرَه** – وأنتَ سَتري يا ابن رسول الله – **وبركته** – وأنتَ بركتي – **يا وِقايةَ الله وستره وَبَرَكَته أغنِني** – وفي نسخةٍ أخرى – **أغثني** – أغنني أغثني المعاني متقاربة – **أغثني أدنني** – أدنِني إليك لأنني إن دنوتُ إليك فقد دنوتُ إلى الله: وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم – **أدنني أدركني** – يا ابن رسول الله – **صِلني بِكَ ولا تَقطعني** – لأنَّكَ إن لم تَصِلني بِكَ فإلى أين سأذهب؟ سأذهب إلى توحيد القوم، إلى

أولئك الذين يعبدون شيئاً لا يعرفون ما هو، يعبدون شيئاً صنعتهُ أوهامهم وعقولهم، المصباح المنير في هذا الوجود هُم مُحَمَّدٌ وآلُ مُحَمَّد وسفينةُ النجاة هم مُحَمَّدٌ وآل مُحَمَّد، سفينة التوحيد هُم، مصباح التوحيد هم، برهان التوحيد هم، قرآن التوحيد هم، حقيقة التوحيد هم – **يا وِقايةَ الله وسَتره وَبَرَكَته أغثني** – يا ابن رسول الله – **أدنني أدركني صِلني بِكَ ولا تَقطعني** – لأنَّك إن لم تَصِلني فأنا مقطوع لا أستطيعُ الوصول إلى الله، لا يمكن أن أصلَ إلى الله إلا بِكَ يا ابن رسول الله، هذه عقيدتي وهكذا تعلمت من آبائك وأجدادك: **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم**، بِكَ صِلني لا تقطعني يا ابن رسول الله، هو هذا: **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم**، هذه العبارات كلها تشير إلى هذا المضمون إلى مضمون حقيقة التوحيد – **مَن أَرادَ الله بَدَأَ بِكُم وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – والعبارات بحاجة إلى شرحٍ أكثر من ذلك لكنني أرى الوقت يجري سريعاً وهناك مطالب أخرى عديدة لابد من الإشارة إليها.

مَوالِيَّ: وأنتم أولياء نعمتي، مواليَ يعني سادتي يعني أوليائي، تقدم عندنا في أول الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَقادَةَ الأُمَمِ** – أنتم قادتي – **وَأَولِياءِ النِّعَمِ** – أنتم أوليائي، أنتم أولياء نعمتي – **وَساسَةَ العِبادِ** – وأنتم ساستي – **وَأَبوابَ الإيمانِ** – وأنتم الباب الذي أطرقهُ دائماً وأطوف حوله وأقضي عمري في خدمته، أنتم أبوابُ الإيمان وأنتم أمناء الرحمن وأنتم الأئمة الدُّعاة والقادة الهُداة والسادة الولاة والذادة الحُماة، أنتم ذادتي وحُماتي، وأنتم بقيةُ الله، وأنتم نورهُ وبرهانهُ صلوات الله عليكم – **مَوالِيَّ** – سادتي أوليائي – **لا أُحصِي ثَنائَكُم وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم** – لا أحصي ثنائكم، الإحصاء هو العد، والعد بحاجة إلى حواس منتبهة حتى يستطيع الإنسان أن يعد وأن يحصي بحواسهِ وبحاجة إلى عقلٍ متوقد منتبه حتى لا يخطأ في الإحصاء – **لا أُحصِي ثَنائَكُم** – الثناء هو ذكرٌ للجميل، أنا هنا لم أقل لا أحصي جميلكم وجمالكم، أنا لا أحصي ثنائكم لأنَّ جمالكم أصلاً لا يوجد له ثناء وإنما يوجدُ شيءٌ من الثناء لشيءٍ من جمالكم وهذا الشيءُ من الثناء إني لا أستطيعُ أن أُحصيه، الثناء هو مديح هو شكر، والمديح والشكر والثناء لأي شيءٍ؟ يأتي متفرعاً عن وجودِ شيءٍ جميل، فجمالكم لا حدود لهُ، وما يوجدُ من ثناءٍ في العقول في القلوب في الألسنة ما هو إلاّ ثناءٌ لبعضٍ من جمالكم ومع ذلك هذا الثناءُ الذي هو لبعضٍ من جمالكم أنا لا أستطيع أن أحصيه. كما يقول الجواهري:

تعداد مجد المرء منقصةٌ له إذا فاقت مزاياه عن التعدادِ

إذا كانت الكمالات لا حدود لها.

لا أُحصِي ثَنائَكُم – أنا لا أستطيع أن أحصيَ ثنائكم على لسان الخلائق، كُلُّ الخلائق تثني عليكم، كُلُّ جمالٍ في هذا الوجود هو منكم، وكل جمالٍ وكل حياةٍ هي منكم، الحياة جمال وكل حياةٍ هي منكم، كُلُّ

جمالٍ هو منكم، وكُلُّ خيرٍ هو منكم، أعودُ إلى قانون الطي – **إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأواهُ وَمُنتَهاهُ** – أنا لا أحصي ثنائكم – **وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم** – أما الكُنه فهو حقيقة الشيء وإدراكُ حقيقة الشيء بحاجة إلى عقلٍ مُسَلَّحٍ بمعرفةٍ عميقة، بحاجة إلى بصيرةٍ ثاقبة – **لا أُحصِي ثَنائَكُم** – بحواسي المتقدة وبعقلي المتوقد فإني لا أحصي ثنائكم، وبعقلٍ متعمِّقٍ وبصيرةٍ ثاقبةٍ لو كنتُ أملكها فإني لا أبلغُ من المَدحِ كُنهَكُم، لن أستطيع أن أقولَ ما أقول ولن أستطيعَ أن أرسمَ ما أرسمَ في مُخَيلَتي وفي ذهني من جمال حقيقة كُنهِكُم – **وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم** – الوصف يكونُ ممكن في الأذهان، يمكن للإنسان أن يَصِفَ الأشياءَ في ذهنهِ لنفسهِ – **وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم** – ويمكن أن يَصِفَ باللسان ويمكن أن يَصِفَ بالرسم، والإنسان إنما يَصِف معتمداً على خيالهِ، يعني مهما أوتينا من قدرةٍ في الخيالِ فإننا لن نستطيعَ أن نَصِفَ شيئاً من قدركم – **مَوالِيَّ لا أُحصِي ثَنائَكُم** – هذا استسلامُ العقل واستسلامُ القلب واستسلامُ الخيال كل القدرات تستسلم هنا أمام نورية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، وما ذلك بشيءٍ غريب.

الشمس هذه التي هي ليست بشيء نحنُ لا نستطيع أن نملأ عيوننا منها عند الضحى، والشمسُ حتى لا تُعَدُّ بذرةٍ إذا ما قيست بهذا الوجود الواسع، وهذا الوجود الواسع كُلُّ نوريتهِ إنما هي من نوريتهم، إنما هي جزءٌ يسيرٌ من نوريتهم صلوات الله وسلامه عليهم – **مَوالِيَّ لا أُحصِي ثَنائَكُم وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم** – كيف أستطيع أن أصِفَكُم؟ أميرُ المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وهذا هو الجزءُ السادس والعشرون في جانبٍ من حديث المعرفة بالنورانية ماذا يقول؟ **يقول: اعلم يا أبا ذر أنا عبد الله عزَّ وجلَّ وخليفتهُ على عباده لا تجعلونا أرباباً وقولوا في فضلنا ما شئتم فإنَّكم لا تبلغونَ كُنه ما فينا** – نفسُ المعنى الموجود هنا: **وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم** – كلام أهل البيت، أحاديثهم، زياراتهم بعضها يشدُ البعض الآخر.

أسفي على تلك العقول التي لا تتلذذُ بهذه المعاني ولا تعرف قيمتها وهم يقولون بأنهم من أشياع عليٍّ وآل عليّ – **مَوالِيَّ لا أُحصِي ثَنائَكُم وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم** – وقولوا في فضلنا ما شئتم، الباب مفتوح لِماذا؟ فإنَّكم لا تبلغونَ كُنه ما فينا ولا نهايته فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أعطانا أكبرَ وأعظم مما يصفهُ واصِفُكُم – **لا أُحصِي ثَنائَكُم وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم** – فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أعطانا أكبرَ وأعظم مما يصفهُ واصِفُكُم أو يخطر على قلبِ أحدكم، حتى خطور لا يخطر، الخيال يتوقف – **فإذا عرفتمونا هكذا فأنتم المؤمنون** – إذا عرفتم بأنَّ جميعَ القُدرات الموجودة عند البشرية عند الإنسان هي عاجزة ولذلك نحنُ نصدع بعقولنا بقلوبنا بألسنتنا: **مَوالِيَّ لا أُحصِي ثَنائَكُم وَلا أَبلُغُ مِنَ**

المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم، تلاحظون الكلام في حديث المعرفة بالنورانية فيه تفاصيل لكن الزيارة وهي القول البليغ الكامل تختصر المعاني في كلماتٍ قصيرة.

هذا بصائرُ الدرجات رواية جميلة جداً في بصائر الدرجات، وبصائر الدرجات أسمٌ على مسمى كتابٌ لشيخنا أبي جعفر الصفار من أصحاب إمامنا الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه، والرواية عن المفضَّل بن عمر من أبرز عارفي أهل البيت ومن خواص أصحابهم، المُفضّل بن عمر ينقل عن إمامنا الباقر – **قال أبو جعفرٍ عليه السلام: إنَّ حديثنا صَعِبٌ مُستَصعَب ذَكوانٌ أجرَد لا يَحتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نَبيٌ مُرسَل ولا عَبدٌ امتَحَنَ الله قلبهُ لِلإيمان، أمَّا الصَعب فَهو الذي لَم يُرَكَب** – يعني لم يَصِل إليهِ أحد – **أمَّا الصَعب فَهو الذي لَم يُرَكَب بعد** – لم تركبهُ العقول لم تصل إليه العقول شيءٌ بعيد، بعيدُ المنال، هو – **قال: حديثنا صَعِبٌ مُستَصعَب ذَكوانٌ أجرَد لا يَحتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّب ولا نَبيٌ مُرسَل ولا عَبدٌ امتَحَنَ الله قلبهُ لِلإيمان، أمَّا الصَعب فَهو الذي لَم يُرَكَب بَعد وأمَّا المُستَصعَب فَهوَ الذي يُهرَبُ منه** – هذا الشيء أعمق – **فَهوَ الذي يُهرَبُ منه** – تَختَالُّ عِندَهُ العُقُول – **فَهوَ الذي يُهرَبُ منه إذا رُئي وأمَّا الذَكوان فهو ذَكاءُ المؤمنين** – يعني بصيرتهم – **وأمَّا الأجرَد فَهوَ الذي لا يَتَعلَّقُ بهِ شيءٌ مِن بين يديهِ ولا مِن خَلفِه وهو قولُ الله:** ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَدِيثِ﴾ **فأحسن الحديث حَديثُنا لا يحتَمِلُ أحدٌ من الخلائق أمره** – أحسن الحديث الكلام هنا ليس عن ألفاظ، الحديث هنا إشارة إلى حقيقة أهل البيت، وحتى لو صاغهُ أهل البيت بصياغةِ الألفاظ فإنَّ أوصافهُ هي هذه – **فأحسن الحديث حَديثُنا لا يحتَمِلُ أحدٌ من الخلائق أمره بِكمالِهِ** – لا يستطيع مهما أوتيت هذه المخلوقات، الملائكة بعقولها لو دنوتُ أنمُلة لاحترقت، جبرئيل، عقل العقول في عالم الملائكة جبرئيل – **لا يحتَمِلُ أحدٌ من الخلائق أمره بِكمالِهِ** – من ذا الذي يستطيع أن يحتمل أمر مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد بكمالهِ؟!

حتى يَحُدَّهُ – يُحَدَّهُ بحدود عقله لأنه محدود، فإذا حَدَّهُ انقلبَ إلى شيءٍ آخر، إذاً ليس هناك من إدراكٍ لحقيقتهم – **لا يحتَمِلُ أحدٌ من الخلائق أمره بِكمالِهِ حتى يَحُدَّهُ لأنَّهُ من حَدَّ شيئاً فهوَ أكبرُ منه** – العبارة تحتمل الوجهين هو أكبرُ منه يعني العقيدة أكبر منه أو أنَّ الإنسان يكونُ أكبر من الشيء الذي يحدهُ في داخلهِ والمعنى واحد، موطن الشاهد هنا – **حَديثُنا لا يحتَمِلُ أحدٌ من الخلائق أمره بِكمالِهِ حتى يَحُدَّهُ** – إذا أرادَ أن يعرف شيئاً عنا لابد أن يحد أمرنا بحدود عقله، إذا حدَّهُ بحدود عقلهِ فهذه معرفة أطفالية، معرفة في غاية الجهل ستكون حينئذٍ، في غاية الجهل عن حقيقة الحقيقة، معرفة محدودة حينئذٍ ستكون لأننا إذا حددناها تَحوَّل الأمر إلى شيءٍ آخر، كالذي يملأُ إبريقاً من البحر ويقول هو هذا البحر، أهذا هو البحر؟! الإنسان الآن يأتينا بقنينة مثلاً هذه قناني الماء التي نشربها يُكتب على بعضها أنَّهُ جيء

بهذا الماء من جبال سويسرا من جبال فرنسا أو من أي جبلٍ آخر أو من أي مكانٍ آخر، حينما تأخذ هذه القنينة وتجد مكتوب عليها أنَّ هذا الماء جيء به من العيون الفلانية في الدولة الفلانية، هل هذه القنينة تعطيك صورة عن تلك العيون؟!

أبداً، معرفتنا بأهل البيت كمعرفة هذا الذي يشربُ من قنينةٍ كُتِبَ عليها جيء بهذا الماء من جبال سويسرا وهو لم يكن قد رأى جبال سويسرا ولا تلك العيون الجبلية ولا شيئاً من ذلك، معرفتنا بأهل البيت هكذا، هذا الحديث يقول هكذا: **حَديثُنا لا يحتَمِلُ أحدٌ من الخلائق أمره بِكمالِهِ حتى يَحُدَّهُ** – ولذلك الزيارة صريحة وواضحة – **مَوالِيَّ لا أُحصِي ثَنائَكُم** – من أنا حتى أحصي ثنائكم؟! – **وَلا أَبلُغُ مِنَ المَدحِ كُنهَكُم وَمِنَ الوَصفِ قَدرَكُم** – ثم تعود الزيارة فتعطينا أوصافاً تتناسب مع ألفاظنا مع المعاني التي يمكن أن نتحسسها – **وَأنتُم نُورُ الأَخيارِ وَهُداةُ الأَبرارِ وَحُجَجُ الجَبَّارِ** – نورُ الأخيار هو مظهرٌ من مظاهر نوريتهم، الأخيار جمعٌ لخيِّر، ونورُ الأخيار النور الذي نفذ في قلوب الأخيار، نور الأخيار دينهم، قرآنهم، عقيدتهم، بصيرتهم، حقيقتهم، أصلُ التسبيحِ في وجودهم، نورُ وجودهم، كُلُّ ذلك يعودُ إلى أهل البيت، الآن لو نتصفَّح الزيارة من بدايتها لنجد مظاهر النورية متكررة وهكذا في بقية العناوين، تعدد المظاهر، مظاهرُ أهل البيت في كل جانبٍ من جوانب الوجود، وهذه النصوص الصادرة عن أهل البيت إنما هي تتحدث بشكلٍ وبآخر عن صورة التكوين، مثل ما نقول بأنَّ الكتاب التدويني المصحف التدويني هو صورةٌ للمصحف التكويني، هذه النصوص الصادرة عن المعصومين كنص الزيارة الجامعة وهو قولٌ بليغٌ كامل هو صورةٌ عن عالم التكوين أيضاً، من جهةٍ ومن حيثيةٍ تتناسب مع المضمون الذي نُسِجت لأجلهِ هذه الزيارة.

إذا نذهب مع الزيارة من البداية، لنقرأ في المقطع الثاني: **وَمَصابِيحِ الدُّجى**، والمصابيح هي مصادر النور، هذا مقامٌ من مقاماتهم، هذا مظهر من مظاهرهم مصابيحُ الدُّجى.

في موطنٍ آخر في المقطع الخامس، مصابيح الدجى في المقطع الثاني من المقاطع الأولى التي افتُتِحت بها الزيارة، في المقطع الخامس: **وَحُجَّتِهِ وَصِراطِهِ وَنُورِهِ وَبُرهانِهِ**، هم نور الله سبحانه وتعالى، هذا مظهرٌ آخر.

مظهرٌ ثالث: **وَانتَجَبَكُم لِنُورِهِ وَأَيَّدَكُم بِرُوحِهِ**.

مظهرٌ رابع: **وَمَناراً فِي بِلادِهِ**، المنار هي العلائم العالية التي يستنير النور عليها ويستنيرُ بها الناس.

في موطنٍ آخر: **وَآياتُ اللهِ لَدَيكُم وَعَزائِمُهُ فِيكُم وَنُورُهُ وَبُرهانُهُ عِندَكُم** – مرَّ قبل قليل أنتم – **وَصِراطِهِ وَنُورِهِ** – أنتم نور الله، هنا – **وَعَزائِمُهُ فِيكُم وَنُورُهُ وَبُرهانُهُ عِندَكُم** – هذا مظهرٌ آخر.

مظهرٌ آخر من مظاهرهم: **وَأَنَّ أَرواحَكُم وَنُورَكُم وَطِينَتَكُم وَاحِدَةٌ**.

مظهرٌ آخر: **خَلَقَكُمُ اللهُ أَنواراً فَجَعَلَكُم بِعَرشِهِ مُحَدِّقِينَ**، هذه كلها مظاهرٌ لنوريتهم صلوات الله عليهم.

وهنا: **وَأنتُم نُورُ الأَخيارِ**، وبعد ذلك يأتي في الزيارة أيضاً: **وَأَشرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِكُم**، ويأتي أيضاً في الزيارة الشريفة: **كَلامُكُم نُورٌ**، كُلُّ هذا مظاهر لهم – **كَلامُكُم نُورٌ** – الكلامُ النوري هو مظهرٌ من مظاهرهم – **وَأَشرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِكُم** – إشراق الأرض بنورهم مظهرٌ من مظاهرهم – **وَأنتُم نُورُ الأَخيارِ** – مظهرٌ من مظاهرهم – **وَمَناراً فِي بِلادِهِ** – هو مظهرٌ من مظاهرهم، وبقية المظاهر، وحتى العبارات الأخرى: **وَهُداةُ الأَبرارِ وَحُجَجُ الجَبَّارِ**، إذا أردنا أن نتفحَّصَ الزيارة الجامعة ولكن ضيقُ الوقت يحولُ فيما بيني وبين هذا الأمر، إذا أردنا أن نتصفَّحَ الزيارة الجامعة من أولها إلى آخرها فإننا سنجد مظاهر هداة الأبرار في كل صقعٍ من أصقاع الوجود، ومظاهر حُجج الجبار، يمكنكم أنتم أن تتبعوا من أول الزيارة إلى آخرها ما جاء بلفظ الهداية والهدى وما جاء بلفظ الحُجَّةِ والحُجَج والبراهين والأدلة والآيات، كُلُّ هذه مظاهر: لحُجَج الجبَّار، وَأنتُم نُورُ الأَخيارِ، نور الأخيار النور الذي اهتدى به الأخيار.

نحنُ حينَ نقرأُ في سورة البقرة في الآية السابعةِ والخمسين بعد المئتين ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ ومرَّ علينا في يوم أمس من جملة شرائط هوية التشيع: **وَبَرِئتُ إِلى الله عَزَّ وَجَلَّ مِن أَعدائِكُم، وَمِنَ الجِبتِ وَالطَّاغُوتِ**، الطاغوتُ هذا هو هذا الطاغوت ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الذين يوالون الطاغوت هم كافرون كما قلتُ قبل قليل التوحيد ومن قصدهُ توجهُ بكم، تلاحظون التمازج الواضح والتعانق الواضح بين آيات الكتاب، بين الروايات، بين نص الزيارة الجامعة، بين الكتاب والعترة وهذا هو دليلُ الحق، التوافق التام في كل صغيرةٍ وكبيرة بين الكتابِ والعترة – **وَبَرِئتُ إِلى الله عَزَّ وَجَلَّ مِن أَعدائِكُم، وَمِنَ الجِبتِ وَالطَّاغُوتِ – وَمَن وَحَّدَهُ قَبِلَ عَنكُم وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – هذا هو التوحيد، أما أولياء الطاغوت القرآن يقول عنهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هناك مجموعتان: مجموعة الذين آمنوا الله وليّهم يخرجهم من الظلمات إلى النور، الذين كفروا الطاغوت وليّهم يخرجهم من النورِ إلى الظلمات، فهل للذين كفروا من نورٍ حتى يُخرِجُهم الطاغوت ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ أيُّ نورٍ هذا للذين كفروا؟!

هذا هو تفسيرُ البرهان وهذا هو تفسيرُ أهل البيت، هذا هو كلام أهل البيت: **عن عبد الله بن أبي يعفور** – الرواية طويلة أخذ منها موطن الحاجة، الإمام الصادق يُخاطِب عبد الله بن أبي يعفور – **أما تسمع لقول**

الله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ **يُخرجهم من ظُلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة** – لِماذا؟ – **لولايتهم كُلَّ إمامٍ عادلٍ من الله** – الإمام العادل هو الإمام المعصوم، غير المعصوم لا يكون عادلاً، لأنَّ العادل الذي لابد أن يكون مستقيماً في كُلِّ شيء وهذه هي صفةُ العصمة ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ أي ظُلمات عند الذين آمنوا؟ – **يُخرجهم من ظُلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كُلَّ إمامٍ عادلٍ من الله، قال الله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ **قال: قُلتُ: أليسَ الله عنى بها الكُفار؟** – يعني الكفار الذين كانوا في الجاهلية حين قال والذين كفروا – **قال: فقال: وأيُّ نورٍ للكافر وهو كافر** – لأن الآية تقول ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ عبد الله بن يعفور يفهم الآية في الذين كفروا مثلاً في الجاهلية أو في الديانات الأخرى الإمام يقول: – **وأيُّ نورٍ للكافر وهو كافر فأخرج منه إلى الظلمات إنما عنى الله بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام فلمَّا أن تولوا بعد النبي كل إمامٍ جائر ليس من الله فخرجوا بولايتهم إياهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب لهم النار مع الكفار فقال:** ﴿أُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾. وهذا هو معنى ارتداد الأمة بعد النبي صلى الله عليه وآله، ارتدت الأمة بعد النبي لأنها تركت عليّاً صلوات الله وسلامه عليه، الآيات واضحة صريحة، الإمام يقول: **وأيُّ نورٍ للكافر وهو كافر فأُخرج منه إلى الظلمات إنما عنى الله بهذا أنهم كانوا على نور الإسلام** – في زمان النبي – **فلمَّا أن تولوا بعد النبي كل إمامٍ جائر ليس من الله فخرجوا بولايتهم إياهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر** – والقضية مستمرة إلى يومنا هذا – **فأوجب لهم النار مع الكفار فقال:** ﴿أُولَئِكَ أَصحَابُ النَّارِ هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وَأنتُم نُورُ الأخيارِ – الأخيار هم أولئك الذين تحدث القرآن عنهم ﴿يُخرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ من ظلمات الذنوب من ظلمات النقص إلى نور الولاية إلى نور التوبة في الدنيا إلى نور الشفاعة في الآخرة إلى نور مجاورة مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله، يا عليّ وشيعتك على منابر من نور مُبيَضة وجوههم وهم جيراني في الجنة، مُبيَضَة وجوههم بأي شيءٍ؟ بنور الولاية لعليٍّ صلوات الله وسلامه عليه – **وَأَنتُم نُورُ الأخيارِ وَهُداةُ الأبرارِ وَحُجَجُ الجَبّارِ** – بقية العناوين يمكن أن تقيسوا المعاني فيها على ما جاء في نور الأخيار – **وَأنتُم نُورُ الأخيارِ وَهُداةُ الأبرارِ وَحُجَجُ الجَبّارِ، بِكُم فَتَحَ اللهُ وَبِكُم يَختِمُ، وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ، وَبِكُم**

يُمسِكُ السَّماءَ أن تَقَعَ عَلَى الأرضِ إلاّ بِإذنِهِ، وَبِكُم يُنَفِّسُ الهَمَّ وَيَكشِفُ الضُّرَّ – كل هذه المعاني على سبيل النشر ولكن النشر الجزئي، لأن هذه المعاني لا تعني جميع شؤون الكون وجميع شؤون الكون مرتبطة بهم صلوات الله عليهم – **بِكُم فَتَحَ اللهُ وَبِكُم يَختِمُ** – هذا عنوانٌ عام، هذا طيٌّ للمعاني، البدايةُ عندهم والنهايةُ عندهم أيضاً، نفس المعنى الموجود هنا – **إن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأَصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأوَاهُ وَمُنتَهَاهُ** – **بِكُم فَتَحَ اللهُ وَبِكُم يَختِمُ** – في أصل الخلقة، في التكوين، في التشريع، في عوالم الطبيعة، في عوالم الشهادة، في عوالم الغيب، في الملأ الأعلى، في الملأ الأسفل، في كل جزءٍ من أجزاء الوجود – **بِكُم فَتَحَ اللهُ وَبِكُم يَختِمُ، وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ** – الغيث هذا شأنٌ جزئيٍ من شؤون العالم الدنيوي – **وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ** – إذا أريد من الغيث المطر وإذا أريدَ من الغيث الفيض سيكون المعنى أوسع من ذلك يعني ما يغاث به الناس، والناس يغاثون بالمطر وبكل نحوٍ من أنحاء الرزق المادي والمعنوي – **وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ.**

الله سبحانه وتعالى مثلما جعل مَلَك الموت سبباً لتفعيل معنى الموت في حياة الناس لا يعترضُ أحدٌ على ذلك لكن حينما يكون الكلام عن أهل البيت تأتي الاعتراضات، الله سبحانه وتعالى لحقائق أهل البيت الأولى النورية، للمخلوق الأول، للكلمة الأولى الله سبحانه وتعالى أعطاها القدرة وأعطاها الإمكانية على أن تتصرف في هذا الوجود، فهي تنزل الغيث وهي تُمسك السماء أن تقع على الأرض، مثلما أعطى لملك الموت القدرة على الإماتة على أن يميت أي مخلوق من الحيوانات من الجن ومن الإنس، بل إن الذين يقومون بدور الإماتة هم أعوانه هم جند ملك الموت، مثل ما الله سبحانه وتعالى أعطانا القدرة على أن نتصرف وأن نصنع وأن نتحرك بأيدينا وبأرجلنا ونحن متمكنون من ذلك ولا نشعر بأن أحداً يتصرف فينا، نحن الآن نستطيع أن نجلس أن نقوم أن ننام أن نأكل أن نشرب أن نصنع ما نريد أن نصنع ولا نشعر بأن أحداً يجبرنا على ذلك ولا نتوجه إلى الله بالدعاء أيضاً يعني الآن حينما نجلس على كرسي ونريد أن نقوم هل ندعو الله سبحانه وتعالى يا ربي مكني بحق مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد بحق أنبياءك أن أقوم؟!

هذه ولاية تكوينية هذا تفويض من الله للعباد، مثل ما أن الله سبحانه وتعالى فوّض هذه القدرة عندي بحسبي وبحدودي الله سبحانه وتعالى فوّض قدرةً أوسع عند الحقيقة المحَمَّدية، فما هو الفارق بين هذا التفويض وهذا التفويض؟ هذا تفويضٌ محكومٌ بحكم الله ولا يكون إلا بإذن الله وذلك تفويضٌ محكومٌ بحكم الله ولا يكون إلا بإذن الله، والقوة عندي في هذا التفويض من الله، والقوة في الحقيقة المحَمَّدية قوةٌ من الله، الفارق في السعة والضيق، مثل ما أن الله سبحانه وتعالى سلطني على بدني وأعطاني قدرات وولاية أستطيع أن أتصرف ببدني، وأعطاني قدرة وولاية على أن أتصرف وأؤثر في كثيرٍ من الأشياء المحيطة بي

لكن بحدودي، الدائرة ضيقة لأن حكمتي ولأن قدرتي وقابليتي وعلمي وفهمي محدود، حينما العلم والفهم والقدرة والحكمة واسعة في الحقيقة المحَمَّدية ستكون الدائرة واسعة، المِلاك الذي حصّلت به على هذه القدرة هو نفس المِلاك الذي حصّلت به الحقيقة المحَمَّدية على قدرتها، لكن ماذا نصنع لهذه العقول البائرة – **بِكُم فَتَحَ اللهُ وَبِكُم يَختِمُ، وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ، وَبِكُم يُمسِكُ السَّماءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرضِ** – وهذه مصاديق من الشؤونات الكونية.

كما قلت بأن قانون النشر في الزيارة هو نشرٌ تجزيئي جزئي لأننا لا يمكن أن نحيط بكل شؤونات الكون إنما هي نماذج – **بِكُم فَتَحَ اللهُ وَبِكُم يَختِمُ، وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ، وَبِكُم يُمسِكُ السَّماءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأرضِ إلاّ بِإذنِهِ** – هذا في البعد المادي، بكم ينزّل الغيث، بكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه – **وَبِكُم يُنَفِّسُ الهَمَّ** – هذا في البعد المعنوي – **وَبِكُم يَكشِفُ الضُّرَّ** – الضرّ قد يكون مادياً وقد يكون معنوياً، هذه نماذج من كل أشكال وشؤونات الكون – **وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ، وَبِكُم يُمسِكُ السَّماءَ** – ينزل الغيث بخصوص عالم الأرض – **وَبِكُم يُمسِكُ السَّماءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأرضِ إلاّ بِإذنِهِ** – هذا للسماء لِما هو خارج الأرض وكلها مصاديق مادية – **وَبِكُم يُنَفِّسُ الهَمَّ وَيَكشِفُ الضُّرَّ** – الهمَّ للجانب المعنوي، الضُر قد يكون مادياً قد يكون معنوياً وقد يكون برزخياً بين المادة والمعنى وقد يكون خليطاً من المادة والمعنى، الإنسان يصاب بمرض مادي وآثاره نفسيه، هذه مصاديق، نماذج، أمثلة لشؤونات الكون التي لا تتحرك ولا تكون إلا بهم صلوات الله عليهم – **بِكُم فَتَحَ اللهُ وَبِكُم يَختِمُ، وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ، وَبِكُم يُمسِكُ السَّماءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأرضِ إلاّ بِإذنِهِ، وَبِكُم يُنَفِّسُ الهَمَّ وَيَكشِفُ الضُّرَّ، وَعِندَكُم ما نَزَلَت بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَت بِهِ مَلائِكَتُهُ** – هبطت به ملائكته من الأوامر من القواعد من السنن، ونزلت به رسله الرسل هم أيضاً ملائكة لكنهم ينزلون بشأنٍ أعلى رتبةً من بقية الملائكة، كنزول جبرئيل أو نزول ميكائيل على الأنبياء – **وَعِندَكُم ما نَزَلَت بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَت بِهِ مَلائِكَتُهُ** – على من؟

على كل الأنبياء، على كل الأوصياء، على كل الأولياء، ما كان بنحوٍ جليّ وما كان بنحوٍ خفيّ، الملائكة تنزل على الأنبياء بنحوٍ جليّ، وقد تنزل على الأوصياء والأولياء بنحوٍ خفيّ بنحوٍ غير واضح غير محسوس – **وَعِندَكُم ما نَزَلَت بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَت بِهِ مَلائِكَتُهُ** – يعني أنكم تحيطون بشئون العالم وبشئون الأرض في الجانب التكويني وفي الجانب التشريعي، نزول الغيث، الإمساك بالسماء أن تقع على الأرض، تنفيس الهمّ، كشف الضر قضايا تقع في الجانب التكويني – **وَعِندَكُم ما نَزَلَت بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَت بِهِ مَلائِكَتُهُ** – في الجانب التشريعي، وأن الديانات كلها بأيديكم كل الأديان التي نزلت من السماء، هو الدين واحد، الدين عند الله هو الإسلام، لا يوجد هناك دينٌ آخر، الدينُ واحد منذ آدم وإلى يوم القيامة، لكن التشريعات

تكون بحسب كل زمانٍ ومكان حتى نزلت الديانة الخاتمة، كل الديانات قائمة على نبوة نبينا وولاية عليٍّ وآل عليّ وهذا المعنى صرّحت به مجموعات كبيرة ووفيرة وعديدة من كلمات النبي وآل النبي صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **وَعِندَكُم ما نَزَلَت بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَت بِهِ مَلائِكَتُهُ** – في التكوين والتشريع – **وَإلى جَدِّكُم** (وإذا كانت الزيارة لسيد الأوصياء: **وَإلَى أَخِيكَ**) **وَإلى جَدِّكُم بُعِثَ الرُّوحُ الأَمِينُ** – الروح الأمين اسمٌ معروفٌ لجبرئيل، وقد يقال أنه عنوانٌ لمعنىً آخر إلى الروح الذي ينزل في ليلة القدر ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ في الروايات أن هذا الروح خلقٌ أعظم من الملائكة، لَمَّا يسألون الأئمة هل الروح المذكور في سورة القدر هو جبرئيل؟ قالوا لا، جبرئيل من الملائكة، الملائكة تتنزل والروح فيها جبرئيل داخلٌ في الملائكة يتنزل هو أيضاً لكن الروح خلقٌ أعظم من الملائكة فقد يكون هذا العنوان عنوانٌ للروح الأعظم، وعلى أي حالٍ المشهور أن الروح الأمين هو جبرئيل – **وَإلَى أَخِيكَ بُعِثَ الرُّوحُ الأَمِينُ** – والحديث عن بعثة ونبوة، هذا المقطع هنا يتحدث عن النبوة، نحن هنا بحاجة لأن نتحدث عن النبوة وعن الإمامة وعن الولاية لكنني سأترك هذا الكلام إلى برنامج ملف العصمة.

بعد أيام قلائل سأشرع في برنامج ملفُّ العصمة سأتحدث عن النبوة والإمامة والولاية، لأن النبوة لها مقامان: هناك مقام الحُبّ وهناك مقام العبودية، النبيُّ عبدٌ وحبيب، هو عبد الله وهو حبيب الله، والإمامة أيضاً لها مقام الحب ومقام العبودية، عليٌّ عليه السلام حبيب الله وعبد الله، الولايةُ هي مقام النور، الولاية أعلى رتبةً من النبوة والإمامة، فالنبوة والإمامة من فروع الولاية، اللهم إلا إذا أردنا أن نطلق النبوة ونقصد منها الولاية فتكون النبوة هي الولاية، أو نطلق الإمامة ونقصد منها الولاية، وحتى الرسالة، الرسالةُ لها مقامان مقام الحب ومقام العبودية، النبيُّ صلى الله عليه وآله رسولٌ حبيب ورسولٌ عبد، مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله في مقام الرسالة تارةً يكون في مقام الحب وأخرى في مقام العبد في مقام العبودية، وفي النبوة كذلك، وفي الإمامة كذلك، النبيُّ صلى الله عليه وآله، مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله نبيٌّ رسولٌ إمام وهو وليٌّ، مقام ولايته أوسع من كل هذه المقامات، وعليٌّ وصيٌّ وإمام ومقام ولايته أوسع من كل هذه المقامات، وهنا يأتي كلام أن الروح الأمين بُعثَ إلى النبي صلى الله عليه وآله فهل كان النبيُّ محتاجاً بذاته إلى الروح الأمين؟ أبداً حاجة النبي إلى جبرئيل كحاجته للطعام وللشراب، النبي صلى الله عليه وآله كان في العالم الدنيوي بحسب الحياة التي كان يحياها بين الناس كان محتاجاً إلى الطعام والشراب، لكن يأتي هنا سؤال هل كان بإمكان النبي بحكم منزلته التكوينية وولايته التكوينية أن يكون مستغنياً عن الطعام والشراب؟

نعم الزيارة تقول: **وَذَلَّ كُلُّ شَيء لَكُم**، وذلَّ كل شيءٍ لكم أي أنهم لا يحتاجون شيئاً فلا يحتاجون طعاماً ولا شراباً إذا أكلوا وإذا شربوا فإنما هو بحكم وجودهم في هذا الوعاء الدنيوي، ومع ذلك كان النبي صلى

الله عليه وآله يصوم صوم الوصال وإن كانت هذه القضية قضية ظاهرية وأنا أتحدث عن معنىً أعمق ولكن لتوضيح المطلب، كان النبي صلى الله عليه وآله يصوم صوم الوصال وصوم الوصال أن يوصل صيام ليله بنهاره وصيام هذا اليوم باليوم الذي يأتي بعده بدون أكلٍ أو شرب وهو محرمٌ على الأُمَّة، صوم الوصال مُحرمٌ، المراد من حرمة صوم الوصال ليس أنه حرمة عدم الأكل وإنما المراد من حرمة نية صيام الوصال وهذه مسألة فقهية، فكان النبي صلى الله عليه وآله يوصل ليله بنهاره فحينما يقولون له يا رسول الله هل نصوم مثلك صيام الوصال؟

قال: إن معي ربي يطعمني ويسقيني، هناك طعامٌ وسقيٌ للنبي صلى الله عليه وآله، إن معي ربي يطعمني ويسقيني لذلك كان يصوم من دون أن يأكل من دون أن يشرب يريد أن يشير إلينا بأنه لا حاجة له بالطعام والشراب، لا ولاية للطعام على النبي، الطعام له ولايةٌ عليّ، أنا إذا تركت الطعام أموت، إذا تركت الشراب أموت، نحن إذا تركنا الطعام والشراب نموت، نتحمل يوم يومين ثلاثة إلى وقت معين بعد ذلك يصيبنا الهزال ثم المرض والموت، النبي صلى الله عليه وآله، وذَلَّ كل شيءٍ لكم، لا يحتاج إلى الطعام والشراب، حاجته إلى الطعام والشراب بحسب الظرف الوعائي الدنيوي، فهل كان يحتاج جبرئيل؟ أبداً، جبرئيل كان يأتي فيجلس بين يديه جلسة العبد، والملائكة خدامنا وخدام شيعتنا، ما كان محتاجاً لجبرئيل، حاجته لجبرئيل كحاجته للطعام وهو مستغنٍ عن الطعام، لكنه يأكل ويشرب وينام، حاجته للنوم يحتاجه لكنه تنام عيناه ولا ينام قلبه أيُّ نومٍ هذا؟! ومع ذلك حتى هذا النوم هو لا يحتاجه صلى الله عليه وآله، هي هذه إشارة إلينا أنه تنام عيناه ولا ينام قلبه، أي أنه يستطيع مثل ما يصوم صوم الوصال إن معي ربي يطعمني ويسقيني فهو ينام تنام عيناه ولا ينام قلبه، ولذلك حينما جاء أبو ذر في يوم من الأيام وكان النبي نائماً في بستان في حائط من الحوائط، حائط يعني بستان، في حائط من حوائط المدينة فأبو ذر كان عنده حاجة عند النبي ما أراد أن يوقظ النبي بشكلٍ مباشر، وإنما أخذ عرقاً يابساً ووقف جانباً وبدأ يُكَسِّر حتى يحدث صوت لعل النبي يستيقظ، النبي خاطبه وهو في نومه قال يا أبا ذر لا تفعل ذلك فإنني أسمع وأرى، لَستَ بحاجة إلى أن تفعل هذا الفعل إنني أسمع وأرى يا أبا ذر، النبي تنام عيناه ولا ينام قلبه وهل هو هذا نوم؟ ليس بنوم، النبي ليس محتاجاً للنوم، ليس محتاجاً للطعام والشراب، إنما ينام يأكل الطعام يشرب الشراب بسبب وجوده في هذا الوعاء الدنيوي.

نحن محكومون بهذا الوعاء الدنيوي، النبي صلى الله عليه وآله كما تقدم في الحديث عن البُعد المجرد للمادة وفي البُعد الإحاطي الذي هو عند أهل البيت هم فوق المادة وهم يتصرفون فيما وراء المادة – **وَذَلَّ كُلُّ شَيءٍ لَكُم** – حتى وجودهم وكيانهم المادي هو تحت قدرتهم النورية، وذل كل شيءٍ لهم، كل شيءٍ ذل لأهل البيت، ذل لمحَمَّدٍ وآل محَمَّد حتى وجودهم المادي فهم تحت ولايتهم تحت سيطرتهم وبذلك

يستغنون عن هذه المعاني كلها، فالنبي مستغنٍ عن جبرئيل، جبرئيل محتاجٌ للنبي صلى الله عليه وآله، الملائكة سبحت بتسبيحهم، هم علموا الملائكة، جبرئيل تعلم من مُحَمَّدٍ وعليّ والروايات مرت علينا، لكن الحديث هنا عن المقام الدنيوي للنبوة خصوصاً وأن الكلام عن الجانب التكويني في العالم الأرضي – **وَبِكُم يُنَزِّلُ الغَيثَ، وَبِكُم يُمسِكُ السَّماءَ أن تَقَعَ عَلَى الأَرضِ إلاّ بِإذنِهِ** – إلى أن – **وَعِندَكُم ما نَزَلَت بِهِ رُسُلُهُ، وَهَبَطَت بِهِ مَلائِكَتُهُ وَإلى جَدِّكُم بُعِثَ الرُّوحُ الأَمِينُ** – العبارة التي تأتي بعد هذه العبارة تشرح المعنى واضحاً – **آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لَم يُؤتِ أَحَدا مِنَ العَالَمِينَ** – آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين، أنتم متفردون في كل شيء، كل شيءٍ الله سبحانه وتعالى أعطاه لكم فهو خاصٌ بكم – **آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لَم يُؤتِ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ** – لأنه أعطاكم القدرة الواسعة، أعطاكم الرحمة الواسعة، أعطاكم الجمال الواسع، أنتم أجمل الجمال، أكمل الكمال، أجلّ الجلال، أنتم القدرة المستطيلة التي استطال بها على كل شيء، أنتم الكلمات الأتم، الرحمة الأوسع، أنتم ... أنتم ... لأنه لا فرق بينكم وبينه إلا أنكم عباده وخلقه كما في دعاء الإمام الحجة صلوات الله وسلامه عليه.

آتَاكُمُ اللَّهُ مَا لَم يُؤتِ أَحَداً مِنَ العَالَمِينَ طَأطَأَ كُلُّ شَرِيف لِشَرَفِكُم وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّر لِطَاعَتِكُم وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّار لِفَضلِكُم – هذا هو جمعٌ لما تقدم في الزيارة الجامعة الكبيرة مر علينا – **حَتّى لا يَبقى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرسَلٌ، وَلا صِدّيقٌ وَلا شَهيدٌ، وَلا عالِمٌ وَلا جاهِلٌ، وَلا دَنِيٌّ وَلا فاضِلٌ، وَلا مُؤمِنٌ صالِحٌ، وَلا فاجِرٌ طالِحٌ، وَلا جَبّارٌ عَنيدٌ، وَلا شَيطانٌ مَريدٌ، وَلا خَلقٌ فيما بَينَ ذلِكَ شَهيدٌ** – كل المراتب الخلقية الصالحة والطالحة – **إلاّ عَرَّفَهُم جَلالَةَ أَمرِكُم، وَعِظَمَ خَطَرِكُم، وَكِبَرَ شَأنِكُم وَتَمامَ نُورِكُم، وَصِدقَ مَقاعِدِكُم** – إلى آخر ما جاء في الزيارة الشريفة كل هذه الموجودات الله سبحانه وتعالى سَيُعَرِّفها وهذه الموجودات في أصل وجودها تعرف هذه الحقيقة وإلا لـمَا وجدت – **طَأطَأَ كُلُّ شَرِيف لِشَرَفِكُم** – وكل شريفٍ هو خاضعٌ لولايتكم، وكل متكبر هو خاضعٌ لولايتكم، وكل جبارٍ هو خاضعٌ لولايتكم.

ولو أردنا أن نقرأ سيرة المعصومين وما ظهر من المصاديق العملية في ولايتهم التكوينية على الطواغيت الذين عاشوا في أيامهم هناك حوادث كثيرة موجودة مبثوثة في كتب الحديث ليس من مجالٍ لذكرها وتفصيل القول فيها – **طَأطَأَ كُلُّ شَرِيف لِشَرَفِكُم وَبَخَعَ** – بخع أي خضع وذل – **طَأطَأَ كُلُّ شَرِيف لِشَرَفِكُم وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّر لِطَاعَتِكُم وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّار لِفَضلِكُم** – وهذه المعاني لها صور ومقامات، لها مقاماتٌ في أصل الخلقة فكل الخلقة في أصلها خاضعةٌ لهم، ولها مقاماتٌ في يوم القيامة فهم الحاكمون في يوم القيامة، عليٌّ قسيم الجنة والنار هو الذي يدخل أهل الجنان إلى جنانهم وأهل النيران إلى نيرانهم، وهو الذي يغلقُ أبواب الجنان ويغلق أبواب النيران، وهو الذي يزوج أهل الجنان في جنانهم، وهو الذي ينادي في أهل الجنان خلودٌ

خلود وينادي في أهل النيران خلودٌ خلود، وهو صاحب الأعراف صلوات الله وسلامه عليه، لهذا أيضاً مظاهرٌ في العالم الدنيوي عند ظهور إمام زماننا في الرجعة والأوبة والكرات العلوية تتحقق هذه المعاني – **طَأطَأَ كُلُّ شَرِيف لِشَرَفِكُم وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّر لِطَاعَتِكُم وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّار لِفَضلِكُم** – وحتى في زمان الغيبة وفي زمان الهدنة وفي حياة الأئمة هذه المعاني تتحقق بشكلٍ نسبي، هذا الخضوع وهذا البخوع لعلمهم لفضلهم لقدرتهم ولولايتهم التكوينية إن أرادوا تنفيذها وتفعيلها – **طَأطَأَ كُلُّ شَرِيف لِشَرَفِكُم وَبَخَعَ كُلُّ مُتَكَبِّر لِطَاعَتِكُم وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّار لِفَضلِكُم** – وهذا القانون الواضح – **وَذَلَّ كُلُّ شَيء لَكُم** – كل هذه المعاني تقع تحت هذا القانون، هذه قاعدة القاعدة الأم في الزيارة الجامعة الكبيرة: **وَذَلَّ كُلُّ شَيء لَكُم**.

هم ذلوا لله فذل كل شيءٍ لهم صلوات الله عليهم، أليس الأحاديث تقول: إذا خاف العبد من الله أخاف الله منه كل شيء؟ إذا خاف العبد من الله وهذه هي الخيفة الحقيقية أخاف الله منه كل شيء، هذا المعنى يطبقونه على بعض مشايخ الصوفية يكون صحيح، لكن حين نطبقه على أهل البيت لن يكون صحيحاً – **وَذَلَّ كُلُّ شَيء لَكُم** – هم ذلوا لله، هم في أقصى درجات المذلة بين يدي الله سبحانه وتعالى، الله سبحانه وتعالى ذلل لهم كل شيء – **وَذَلَّ كُلُّ شَيء لَكُم** – ذل كل شيءٍ لكم لا بالدعاء، مثل ما نحن تذل لنا الكثير من الأمور في حياتنا وتكون تحت سلطتنا، الكثير من الأمور الآن مثلاً الحشرات الصغيرة أليس بإمكاننا أن نقتلها؟ أليس بإمكاننا أن نتصرف فيها؟ أن نصنع ما نصنع فيها؟! الله سبحانه وتعالى ذللها لقدرتنا، وأشياء كثيرة، الطبيعة الموجودة الآن، الله سبحانه وتعالى ألم يذلل الطبيعة يذلل الأرض لنا؟ ألم يسمي الأرض ذلول لماذا سميت الأرض ذلول؟ لأن الله ذللها كي يستطيع الإنسان أن يتصرف فيها، أن يعمرها، أن يحيا فيها، أن ينشأ فيها، أن يتناسل، أن تتواصل الحياة فيها، فذلل الأرض لنا فكانت ذلولاً.

الله سبحانه وتعالى ذلل كل شيءٍ للحقيقة المُحَمَّدية – **وَذَلَّ كُلُّ شَيء لَكُم** – من دون دعاء، من دون حاجة إلى التوسل والابتهال، الله سبحانه وتعالى أعطاهم القدرة لأن تذل الأشياء بين أيديهم – **وَذَلَّ كُلُّ شَيء لَكُم وَأَشرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِكُم** – وهذا الإشراق بكل المعاني إن كان المراد بمعنى الإشراق الشمسي أن الشمس تشرق ونور الشمس من نورهم، الروايات تقول هكذا، نور الشمس من نورهم صلوات الله عليهم، نور الشمس من نور الحسن صلوات الله عليه هكذا في الروايات، الشمس والقمر نورهما من نور أبي مُحَمَّدٍ صلوات الله عليه، من نور إمامنا الحسن – **وَأَشرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِكُم** – إن كان المراد النور الحسي وهو نور الشمس فهو من نورهم، أو كان المراد من النور هو نور الهداية فالهداية بهم ومنهم صلوات الله عليهم، وإذا كان المراد أن الأرض تشرق بنورهم بنور العدالة حين ظهور إمام زماننا فإمام زماننا منهم وبهم وإليهم، وإن كان المراد من إشراق النور هو نور الوجود الله نور السموات والأرض فهم نوره الذي جاء في هذه الآية في

آية النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرض مَثَلُ نُورِهِ كَمِشكَاةٍ﴾ والمشكاة محَمَّد صلى الله عليه وآله – **وَأَشرَقَتِ الأَرضُ بِنُورِكُم وَفَازَ الفَائِزُونَ بِوِلايَتِكُم** – بماذا فازوا؟ فازوا بالمعرفة وبالعلم وبالفضل وبالنقاء وبالطهارة، مر علينا ونحن نقرأ في الزيارة الجامعة: **وَجَعَلَ صَلَاتِنا عَلَيكُم وَما خَصَّنا بِهِ مِن وِلايَتِكُم طيباً لِخَلقِنا، وَطَهارَةً لأنفُسِنا، وَتَزكِيَةً لَنا، وَكَفّارَةً لِذُنُوبِنا.**

حين نقرأ في الكتاب الكريم في سورة الجن الآية السادسة بعد العاشرة ﴿وَأَّلو استَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسقَينَاهُم مَّاءً غَدَقاً﴾ ساروا السيرة المستقيمة، قطعاً حينما يسيرون السيرة المستقيمة لابد أن تكون الطريقة طريقةً مستقيمة ﴿وَأَّلو استَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ لابد أن تكون الطريقة مستقيمة حتى يستطيع الإنسان أن يستقيم عليها، إذا كانت الطريقةُ معّوجة كيف يستطيع الإنسان أن يستقيم عليها ﴿وَأَّلو استَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسقَينَاهُم مَّاءً غَدَقاً﴾ هذا ماء الفيض ﴿مَّاءً غَدَقاً﴾ الماء الغدق الماء المتوافر المتواصل الماء الغيداق، يقال عينٌ غيداقه، العين الغيداقه التي تفور بالماء النقي ﴿وَأَّلو استَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسقَينَاهُم مَّاءً غَدَقاً﴾ ماذا يقول أئمتنا؟ في الكافي هذا هو الجزء الأول والرواية عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه، أصلاً هناك عنوان أحد أبواب الجزء الأول باب أن الطريقة التي حُثَّ على الاستقامة عليها ولاية عليٍّ عليه السلام، الرواية الأولى في هذا الباب: **عن إمامنا الباقر صلوات الله وسلامه عليه في قوله تعالى:** ﴿وَأَّلو استَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسقَينَاهُم مَّاءً غَدَقاً﴾ **قال: يعني لو استقاموا على ولاية عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين والأوصياء من ولده وقبلوا طاعتهم في أمرهم ونهيهم لأسقيناهم ماءً غدقاً** – ما هو هذا الماء؟ يقول – **لأشربنا قلوبهم الإيمان، والطريقةُ هي الإيمان بولاية عليٍّ والأوصياء** – وألوا استقاموا على الطريقة، الطريقةُ هي الإيمان بولاية عليٍّ والأوصياء، لَأَسقَينَاهُم مَّاءً غَدَقاً.

هو نفس الكلام الذي مر علينا في الزيارة الرجبية، مر علينا في الزيارة الرجبية بعد أن يزور الزائر أئمته ماذا يقول؟ – **وأن يُرجِعَني مِن حَضرَتِكُم خَيرَ مَرجَع** – إلى أهله يرجع – **إلىَ جَنابٍ مَمرِع وخَفضٍ مُوسِّع ودَعةٍ ومَهل إلى حين الأَجَل وخَير مَصيرٍ ومَحَل في النّعيمِ الأَزَل** – هذا الجناب الممرع الجناب يعني الساحة التي تكثر أشجارها وخمائلها ورياضها النضرة وتفور فيها المياه فوراناً، هذه هي الحياة المعنوية ﴿وَأَّلو استَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسقَينَاهُم مَّاءً غَدَقاً﴾ هذا هو الجناب الممرع – **إلىَ جَنابٍ مَمرِع وخَفضٍ مُوسِّع**

ودَعةٍ ومَهل إلى حين الأَجَل – هذا هو العيش المعنوي بكل معانيه مع أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

العبارة التي بعدها توضح المعنى بشكلٍ أكثر – **وَفَازَ الفَائِزُونَ بِوِلايَتِكُم** – هو هذا الفوز بهذا الماء الغيداق بهذا الماء الطُهر بهذا الإيمان الحقيقي الذي تتشرب به قلوب المؤمنين – **وَفَازَ الفَائِزُونَ بِوِلايَتِكُم بِكُم يُسلَكُ إِلَى الرِّضوَانِ** – بكم يسلك إلى الرضوان، إلى الرضوان في العالم الدنيوي وإلى الرضوان في العالم الأخروي – **وَفَازَ الفَائِزُونَ بِوِلايَتِكُم، بِكُم يُسلَكُ إِلَى الرِّضوَانِ** – أيُّ رضوانٍ هذا؟ رضوان الباري سبحانه وتعالى الذي لا نستطيع أن نتصور معانيه، في رواياتنا في أحاديثنا عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – **عن الحسين بن علي، عن سيد الشهداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألزموا مودّتنا أهل البيت فإنه من لقي الله يوم القيامة وهو يودّنا** – هذا كلام رسول الله ينقله إلينا سيد الشهداء، وهذا هو الجزء الثامن والستون من كتاب بحار الأنوار – **ألزموا مودّتنا أهل البيت فإنه من لقي الله يوم القيامة وهو يودّنا دخل الجنة بشفاعتنا والذي نفسي بيده** – النبي يقول – **والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا** – **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – من قصده من دون التوجه بكم لا عبادة له ولا عمل ولا توحيد – **والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا.**

عن أبي عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وهو يخاطب مصقلة الطحّان يقول: مَا يَمنَعُكَم مِن أن تَشهَدوا عَلى مَن مَاتَ مِنكُم عَلى هَذا الأَمر أَنّه مِن أَهلِ الجَنّة – من أن تشهدوا من أن تقطعوا بقطع اليقين، أشهدوا وقروا بذلك بأن من مات منكم يا شيعة علي على ولاء عليٍّ وآل عليّ فإنه من أهل الجنة، الإمام يقول هكذا إمامنا الصادق، الرواية ينقلها الشيخ المجلسي عن تفسير العياشي رضوان الله تعالى عليه – **مَا يَمنَعُكَم مِن أن تَشهَدوا عَلى مَن مَاتَ مِنكُم عَلى هَذا الأَمر أَنّه مِن أَهلِ الجَنّة، إن الله يقول:** ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ **كذلك حقّاً علينا** – ما هو هذا الحقّ؟ – **نجاة المؤمنين** – ونجاة المؤمنين بدخولهم الجنان.

رواية جميلة عن سُماعة أو سِماعة بن مهران – **دخل سُماعة بن مهران على الصادق عليه السلام فقال له: يا سُماعة من شر الناس؟ قال: نحن يا ابن رسول الله** – الإمام الصادق يسأل سُماعة، من شر الناس؟ قال: نحن يا ابن رسول الله، سماعة يريد أن يشير إلى معنى آخر – **قال: فغضب** – الإمام – **حتى احمرّت وجنتاه** – الإمام أيضاً هو يعرف مقصوده لكن أراد أن يبين حقيقة – **فغضب حتى احمرّت وجنتاه ثمَّ استوى جَالِساً وكَان مُتكئاً فقال: يا سُماعة من شَرُّ الناس عند الناس؟ فقلت: والله ما كذبتك يا ابن رسول الله** – الإمام بدل السؤال بطريقة تتناسب فهم ما يريد، هو يعلم بما يريد سُماعة، السؤال بالبداية يا

سُماعة من شر الناس؟ سماعة أراد أن يستغل هذا السؤال وأراد أن يوجه الكلام إلى جهة أخرى، الإمام وجه الكلام إلى هذه الجهة التي أرادها سماعة – **يا سُماعة من شر الناس عند الناس؟ فقلت: والله ما كذبتك يا ابن رسول الله نحن شرُّ الناس عند الناس لأنهم سمونا كفاراً ورافضة، فنظر إليَّ ثمَّ قال: كيف بكم إذا سيق بكم إلى الجنة وسيق بهم إلى النار فينظرون إليكم ويقولون مالنا لا نرى رجالاً كنَّا نعدَّهم من الأشرار، يا سماعة بن مهران إنه من أساء منكم إساءةً مشينا إلى الله تعالى يوم القيامة بأقدامنا فنشفع فيه فَنُشَفّع والله لا يدخل النار منكم عشرة رجال، والله لا يدخل النار منكم عشرة رجال، والله لا يدخل النار منكم خمسة رجال، والله لا يدخل النار منكم ثلاثة رجال، والله لا يدخل النار منكم رجلٌ واحد، فتنافسوا في الدرجات وأكمدوا عدوكم بالورع** – نفس الرواية التي تقدمت قبل قليل أنه أشهدوا على من مات منكم على أنه قد دخل الجنة، أصلاً المعاني تذهب إلى أعمق من ذلك وإلى أبعد من ذلك.

رواية جميلة يرويها البرقي في المحاسن الشيخ المجلسي ينقلها هنا في الجزء الثامن والستين – **عن موسى بن بكر قال: كُنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فقال رجلٌ في المجلس: أسأل الله الجنة** – يدعو يطلب الجنة – **فقال أبو عبد الله: أنتم في الجنة الآن فاسألوا الله أن لا يخرجكم منها فقالوا: جُعلنا فداك نحن في الدنيا! فقال: ألستم تقرون بإمامتنا؟ قالوا: نعم، فقال: هذا معنى الجنة الذي من أقر به كان في الجنة فاسألوا الله أن لا يسلبكم** – أنتم في الجنة، الجنةُ أنتم يا آل محَمَّد، الجنةُ ولايتكم، هو نفس المعنى، نفس المضمون الذي نجده في مناجاة المحبين ونحن نناجي الباري سبحانه وتعالى ومَرَّ قبل قليل في زيارة الإمام الحجة – **بِكَ صِلني عَنكَ لا تَقطَعني** – بك صلني لا تقطعني يا ابن رسول الله – **ولاَ تَقطَعني عَنك** – من وصلهم فقد وصل الله، من والاهم فقد والى الله – **ولاَ تَقطَعني عَنك ولاَ تَبعِدني مِنك يَا نَعيمي وَجَنّتي وَيَا دُنيايَّ وآخِرَتي** – هذا مظهرٌ من مظاهر الجنة ومعنٍ من معانيها – **ولاَ تَقطَعني عَنك ولاَ تَبعِدني مِنك يَا نَعيمي وَجَنّتي وَيَا دُنيايَّ وآخِرَتي** – هذه مناجاة المحبين المنقولة عن إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه.

ورواية إمامنا الصادق يقول أنتم في الجنة فاسألوا الله أن لا يسلبكم هذه النعمة، نحن في ولاية عليٍّ وآل عليّ نحن في الجنة، أمير المؤمنين كان يقول: جلوسي في المسجد أحبُّ إليَّ من جلوسي في الجنة، لِماذا يا أمير المؤمنين؟ يقول: لأن جلوسي في المسجد فيه رضا ربي وجلوسي في الجنة فيه رضا نفسي، ولايتي لعليٍّ في الدنيا أحبُّ إليّ من الجنة، هو هذا المعنى نفس المعنى الذي يشير إليه إمامنا الصادق، لأننا ونحن في ولاية عليٍّ نحن في أقرب القربات إلى الله – **وَمَن قَصَدَهُ تَوَجَّهَ بِكُم** – هو هذا التوجه، هذا معنٍ من معاني

الرضوان في العالم الدنيوي، وهذا الرضوان الدنيوي سيتحول إلى رضوانٍ آخر.

هذا هو الجزء السابع والسبعون من بحار الأنوار الرواية عن أمير المؤمنين، الرواية طويلة جداً في مناجاة الباري مع النبي في المعراج ماذا قال له؟ – **يا أحمد إن في الجنة قصراً** – أيّةُ جنة؟ هذه جنةٌ خاصة، فأدخلي في نعيمي وجنتي – **يا أحمد إن في الجنة قصراً من لؤلؤةٍ فوق لؤلؤة** – أيُّ قصرٍ هذا؟ – **من لؤلؤةٍ فوق لؤلؤة** – يعني قصر بكامله مبني من لؤلؤة واحدة وفوقها لؤلؤة، وهذه رموز – **يا أحمد إن في الجنة قصراً من لؤلؤةٍ فوق لؤلؤة، ودرةٍ فوق درة ليس فيها قصمٌ ولا وصل** – يعني لا توجد فيها خطوط لا توجد فيها تقطيع، الآن مثلما ما نبني الجدران من الطابوق من الأحجار من الخشب من الحديد من الزجاج قطع يتصل بعضها بالبعض الآخر وهناك فواصل – **إن في الجنة قصراً من لؤلؤةٍ فوق لؤلؤة ودرةٍ فوق درة ليس فيها قصمٌ ولا وصل، فيها الخواص** – خواص أولياء أهل البيت – **أنظر إليهم** – الله ينظر إليهم – **كل يوم سبعين مرة وأكلمهم، كلما نظرت إليهم أزيد في ملكهم سبعين ضِعفاً وإذا تلذذ أهل الجنة بالطعام والشراب تلذذوا بكلامي وذكري وحديثي** – معي ربي يطعمني ويسقيني هذا مظهر آخر من مظاهر ولاية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد – **وإذا تلذذ أهل الجنة بالطعام والشراب تلذذوا بكلامي وذكري وحديثي قال: يا ربي ما علامة أولئك؟ قال: هم في الدنيا مسجونون** – بأي شيءٍ سجنوا؟ – **قد سجنوا ألسنتهم من فضول الكلام** – فضول الكلام الذي هو غير هذا الكلام الذي سيأتي ذكره كلامهم نور، فضول الكلام هناك كلامٌ نور وهناك كلامٌ ظلمة وهو كلام أعداء أهل البيت، وهناك فضول الكلام وهو ما بين الكلامين، هؤلاء سجنوا ألسنتهم لا ينطقون لا يتكلمون لا يفكرون كل تفكيرهم لأن الكلام هو صورةٌ عن التفكير، جُعِلَ اللسان على الفؤاد دليلا، اللسان يفصح عمَّا في الجَنان – **سجنوا ألسنتهم من فضول الكلام** – وماذا؟ – **وبطونهم من فضول الطعام** – الطعام هو العلم هنا.

الرواية جميلة جداً هنا في الجزء الثامن والستين من بحار الأنوار، الرواية عن إمامنا أبي الحسن الثالث، يعني الإمام الهادي عن صاحب الزيارة الجامعة الكبيرة – **قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يخاطب أمير المؤمنين: يا عليّ إن الله عزَّ وجلَّ قد غفر لك ولشيعتك ولمُحبي شيعتك ومُحبي محبي شيعتك فابشر فإنك الأنزع البطين** – يا عليّ إنك الأنزع البطين، موطن الشاهد هنا: منزوعٌ من الشرك بطينٌ من العلم – بطنٌ وعلم، منزوعٌ من الشرك، الأنزع البطين هو المنزوع من الشرك هو البطين من العلم – **قد سجنوا ألسنتهم من فضول الكلام وبطونهم من فضول الطعام** – لأن الطعام منه ما هو حلالٌ طيب وهو علم أهل البيت ومنه ما هو حرامٌ خبيث وهو فكر وعلم وحديث المخالفين لأهل البيت ومنه ما هو فضولٍ ما هو بينهما، هؤلاء الأولياء الذين ينظر إليهم الباري كل يومٍ سبعين مرة ويكلمهم – **كلمَّا نظرت**

إليهم أزيد في مُلكِهم سبعين ضِعفاً وإذا تلذذ أهل الجنة بالطعام والشراب تلذذوا بكلامي وذكري وحديثي – ما هي علاماتهم؟ – **قد سجنوا ألسنتهم من فضول الكلام** – كما قلت فضول الكلام ما يقع بين الكلام النور والكلام الظلمة – **وبطونهم من فضول الطعام** – ما يقع بين الطعام الحلال الطيب والطعام الحرام الخبيث، وما أكثر ما ننشغل بمثل هذا، نحن أشياعهم ومحبوهم ما أكثر ما ننشغل بفضول الطعام وبفضول الكلام.

هؤلاء هم الذين يحدثنا إمامنا السجاد صلوات الله وسلامه عليه وهذا هو الجزء الثاني والخمسون من بحار الأنوار هذه رواية مهمة جداً، جداً، جداً، جداً الإمام يحدث أبا خالدٍ الكابلي، إمامنا السجاد فيقول: **تمتد الغيبةُ بِوَلّي الله الثَاني عَشَر مِن أَوصيَاء رَسول الله صلى الله عليه وآله والأئِمة بعده، يا أبا خالد إن أهل زَمانِ غَيبَتِه القائلون بَإمامته** – نحن نقول بإمامته – **المُنتَظِرون لِظهورِه** – نحن ننتظر ظهوره – **أَفضَلُ أَهل كُل زَمَان** – فهل نحن من هؤلاء؟! هل نحن أفضل أهل كل زمان؟! تبين الرواية – **لأنَّ الله تَعالَى ذِكرُه أَعطَاهُم مِن العُقُولِ والأَفهَامِ والمَعرِفة مَا صَارَت بِهِ الغَيبة عِندَهُم بِمَنزِلة المُشاهَدة** – من هم هؤلاء الذين الله سبحانه وتعالى أعطاهم العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة؟ أولئك الذين سجنوا ألسنتهم عن فضول الكلام، والحديث هنا ليس عن ألفاظ يعني سجنوا عقولهم عن الفكر الزائد ليس عن الفكر المُظلم، عن فضول الكلام شيء زائد عن ما هو الأفضل وما هو الأكمل، وسجنوا بطونهم عن فضول الطعام، هناك علمٌ حلالٌ طيب طعامٌ حلالٌ طيب وطعامٌ حرام وفضولٌ بينهما، وهناك كلامكم نور وكلامهم ظلمة وفضولٌ ما بينهما، الذين سجنوا عقولهم وقلوبهم على هذا العلم النوري وعلى هذا الحديث النوري، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا أن نكون من خدام هؤلاء من الذين سجنوا ألسنتهم وسجنوا عقولهم إلا عن أهل البيت صلوات الله عليهم لعلنا أن نكون في حواشي هؤلاء – **لأنَّ الله تَعالَى ذِكرُه أَعطَاهُم مِن العُقُولِ والأَفهَامِ والمَعرِفة مَا صَارَت بِهِ الغَيبة عِندَهُم بِمَنزِلة المُشاهَدة** – هذا هو التلذذ هذه هي اللذة التي مر الحديث عنها وهذه هي الجنة التي نسأل الله أن لا يسلبها منَّا، هذه جنة أهل البيت، يا نعيمي وجنتي ويا دنياي وآخرتي، تركت للناس دنياهم ودينهم سيدي يا بقية الله:

كـانت لقلبي أهـواءٌ مفـرقـةٌ فاستُجمِعَت مُذ رأتك العين أهوائي

مذ رأتك عين قلبي وعين بصيرتي وعقلي ...

تركت للناس دنياهـم ودينهـم حبّــاً لذكـرك يا دينـي ودنيـائي

لأنَّ الله تَعالَى ذِكرُه أَعطَاهُم مِن العُقُولِ والأَفهَامِ والمَعرِفة مَا صَارَت بِهِ الغَيبة عِندَهُم بِمَنزِلة

المُشاهَدة وَجَعَلهُم في ذَلِكَ الزّمان بِمَنزِلة المُجَاهِدين بينَ يَدي رَسول الله صلى الله عليه وآله بالسّيف أولئِكَ المُخلِصون حَقّاً وشِيعَتنا صِدقاً والدُّعاةِ إلى دِين الله سِرّاً وجَهراً – هؤلاء هذه أوصافهم فهل نحن منهم؟ – **أولئِكَ المُخلِصون حَقّاً وشِيعَتنا صِدقاً والدُّعاةِ إلى دِين الله سِرّاً وجَهراً** – هذا هو الفوز وهذا هو الرضوان – **وَفَازَ الفَائِزُونَ بِوِلايَتِكُم** – هذا هو الفوز – **بِكُم يُسلَكُ إلَى الرِّضوَانِ** – وهذا هو الرضوان، رضوان الدنيا والآخرة – **وَعَلَى مَن جَحَدَ وِلايَتَكُم غَضَبُ الرَّحمَنِ** – ومن يجحد ولايتكم فعليه غضب الرحمن، واضح إنما تستبان الأشياء بأضدادها، مثل ما هناك رضوانٌ في الدنيا وجنةٌ في الدنيا مع عليٍّ وآل عليّ مع الحجة بن الحسن هناك كذلك في هذه الدنيا مع الجبت والطاغوت جهنم غضب الباري سبحانه وتعالى.

رواية واحدة ثم أنتقل إلى مطلبٍ آخر هذا هو الجزء الثامن من الكافي الشريف، الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه: **لو أن غير وليَّ عَليّ** – الحديث دائماً عن عليّ، عليٌّ هو النقطة نقطة البداية ونقطة النهاية، بكم يفتح الله وبكم يختم، بعليٍّ البداية وبعليٍّ النهاية، إمامنا الصادق يقول: **لو أن غير وليَّ عليٍّ** – يعني شخص مخالف لأهل البيت ناصبي جاحدٌ للولاية، وعلى من جحدكم جحد ولايتكم غضب الرحمن – **لو أن غير وليَّ عليٍّ أتى الفرات** – جاء إلى نهر الفرات – **وقد أَشرَفَ مَاءه عَلى جنبيه** – كاد أن يفيض – **وهو يزخّ زخيخاً** – المياه متدافعه جاريه، هل هناك أطهر من هذا الماء؟ ماءٌ كثيرٌ جاري، هذا هو الماء الذي نسميه بالماء المعتصم، الماء المعتصم الماء الذي لا يتنجس بالملاقاة، هو الماء الطهور الطاهر، ماء كثير جاري – **لو أن غير وليَّ عليٍّ أتىَ الفُرات وقَد أَشرفَ ماءه على جنبيه** – يكاد النهر أن يفيض – **وهو يزخّ زخيخاً** – جاري بسرعة متدافع متدفق – **فتناول بكفّهِ** – هذا الناصبي المخالف لأهل البيت – **وقَالَ بِسمِ الله** – حسب المستحبات – **فلمَّا فرغ قال: الحمدُ لله** – حسب المستحبات، الإمام يقول – **كَانَ دَماً مَسفوحاً أو لحمَ خِنزير** – هذا هو غضب الرحمن، هذه صورة واضحة إذا كان يأتي إلى هذا الفرات الطاهر الطهور ويفتتح بسم الله ويختتم بحمد الله – **كَانَ دَماً مَسفوحاً أو لحمَ خِنزير** – وهذا الكلام ليس مجازياً، فعلاً يكون دماً مسفوحاً ويكون لحم خنزير كما يقول إمامنا الصادق، لأن حقائق الأعمال موجودة في هذه الحياة، ولأن حقائق الجنة والنار موجودة في هذه الحياة، الجنة والنار فاعليتها تأتي من واقع هذه الحياة، ولذلك قال إمامنا الصادق أنتم في الجنة فاسألوا الله أن لا يسلب منكم هذه الجنة.

وَفَازَ الفَائِزُونَ بِوِلايَتِكُم بِكُم يُسلَكُ إلَى الرِّضوَانِ وَعَلَى مَن جَحَدَ وِلايَتَكُم غَضَبُ الرَّحمَنِ – ثمَّ تقول الزيارة: **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي** – بعد كُلِّ هذه المعاني، أنا ماذا أستطيع أفديّكم بمالي ونفسي وأهلي وأبي وأمي وبكل شيءٍ آخر تصل إليه يدي – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمَالِي** – هذا كل ما عندي ماذا أصنع

سادتي أهل البيت – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمَالِي ذِكرُكُم فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسمَاؤُكُم فِي الأَسمَاءِ وَأَجسَادُكُم فِي الأَجسَادِ وَأَروَاحُكُم فِي الأَروَاحِ وَأَنفُسُكُم فِي النُّفُوسِ وَآثَارُكُم فِي الآثَارِ وَقُبُورُكُم فِي القُبُورِ** – المعنى الأول لهذه العبارة هي تشير إلى خصوصية أهل البيت، أن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ذكرهم مميزٌ في الذاكرين لا يشبه ذكرٌ ذكرهم، إن كان في العوالم الأولى أو في هذه العوالم أو في العوالم السفلية في أي جزءٍ من أجزاء الوجود، ذكرهم لا يشابهه ذكر، ذكركم شاخصٌ مميزٌ واضحٌ – **ذِكرُكُم فِي الذَّاكِرِينَ** – وأسماؤكم كذلك، لذلك بعد ذلك تقول الزيارة: **فَمَا أَحلَى أَسمَاءَكُم** – لأنها أحلى الأسماء لأنها أجمل الأسماء لأن ذكركم أجمل الذكر – **فَمَا أَحلَى أَسمَاءَكُم وَأَكرَمَ أَنفُسَكُم** – لأن أنفسكم هي أكرم النفوس – **ذِكرُكُم فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسمَاؤُكُم فِي الأَسمَاءِ وَأَجسَادُكُم فِي الأَجسَادِ** – الأجساد في لغة العرب قد يقصد منها الأجسام في بعض الأحيان وقد يقصد منها الأجسام من دون الأرواح لذلك الروايات تقول أنه خلق الأرواح ثمَّ خلق الأجساد، يعني الأجساد من دون الأرواح.

يقال هذا جسدٌ مُسَجَّى ولا يُقال جسمٌ مُسَجَّى، الجسم إذا كان جسماً حيوانياً لابد أن تكون فيه الحياة، لكن يقال جسد مُسَجَّى ويمكن أن يقال كذلك للجسم الذي فيه روح يمكن أن يقال جسد، الجسد والجسم في جهةٍ بمعنىً واحد وهناك اختلاف في معنى اللفظتين، لا أريد أن أذهب بعيداً في تفصيلات اللغة – **ذِكرُكُم فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسمَاؤُكُم فِي الأَسمَاءِ وَأَجسَادُكُم فِي الأَجسَادِ وَأَروَاحُكُم فِي الأَروَاحِ وَأَنفُسُكُم فِي النُّفُوسِ وَآثَارُكُم فِي الآثَارِ وَقُبُورُكُم فِي القُبُورِ** – وهذا تأكيد للمعنى المتقدم – **زائِرٌ لَكُم، لائِذٌ عائِذٌ بِقُبُورِكُم** – قبوركم تختلف عن قبور غيركم، قبوركم يقال لها قبور هي شمسٌ ساطعة هي معنى الحياة هي معنى الحقيقة، نحن نلوذ ونعوذ بقبوركم، وليخسأ أولئك الذين يقولون ما يقولون بأننا نعبد القبور، نحن لا نعبد القبور، نحن نعبد الله بتوجهنا لهذه القبور، هم طلبوا منّا أن نزورهم، هذه تعاليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، نحن لِماذا نعبأ بكتب المخالفين، لِماذا نعبأ بكتبهم؟!

هذه كتب ضلال، هذه كتب انحراف عن أهل البيت، هذه كتب شرك وكتب كفر، كتب التوحيد هي كتب أهل البيت، كتب المخالفين لأهل البيت كتب ضلال وانحراف وكفر وشرك وبدعة، الحقيقةُ والشريعة والتوحيد والسنةُ والإيمان والهدى عند عليٍّ وآل عليّ، أمَّا عند غير عليٍّ وعند غير آل عليٍّ فليس هناك إلا الضلال – **وَفَازَ الفَائِزُونَ بِوِلايَتِكُم بِكُم يُسلَكُ إِلَى الرِّضوَانِ وَعَلَى مَن جَحَدَ وِلايَتَكُم غَضَبُ الرَّحمَنِ بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمَالِي ذِكرُكُم فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسمَاؤُكُم فِي الأَسمَاءِ وَأَجسَادُكُم فِي الأَجسَادِ وَأَروَاحُكُم فِي الأَروَاحِ وَأَنفُسُكُم فِي النُّفُوسِ وَآثَارُكُم فِي الآثَارِ وَقُبُورُكُم فِي القُبُورِ فَمَا أَحلَى أَسمَاءَكُم** – وهذا الكلام يمكن أن يستمر فنقول فما أحلى ذكركم في الذاكرين وما أشرف أجسادكم

وأرواحكم وأنفسكم – **فَمَا أَحلَى أَسمَاءَكُم وَأَكرَمَ أَنفُسَكُم وَأَعظَمَ شَأنَكُم وَأَجَلَّ خَطَرَكُم** – خطركم يعني منزلتكم – **وَأَوفَى عَهدَكُم** – أنتم تفون بالعهود على أتم الوجوه مع الله ومع شيعتكم ومع سائر الخلق – **وَأَصدَقَ وَعدَكُم** – كل هذه المعاني تدور حول هذه الشؤونات، ذكركم في الذاكرين، أسماءكم في الأسماء أجسادكم في الأجساد، أرواحكم في الأرواح، أنفسكم في النفوس، آثاركم في الآثار، قبوركم في القبور – **فَمَا أَحلَى أَسمَاءَكُم وَأَكرَمَ أَنفُسَكُم وَأَعظَمَ شَأنَكُم وَأَجَلَّ خَطَرَكُم وَأَوفَى عَهدَكُم وَأَصدَقَ وَعدَكُم** – هذا المعنى الأول في هذه العبارات.

والمعنى الثاني يكون الحديث فيها عن مظاهر أهل البيت، هناك لأهل البيت مظاهرٌ في عالم الذكر وعالم الذكر هو عالم ما قبل الخلق، كما تشير الآية الأولى بعد البسملة من سورة الإنسان أو من سورة الدهر ﴿ **هَل أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهرِ لَم يَكُن شَيئاً مَّذكُوراً** ﴾ لم يكن شيئاً مذكوراً: إشارة إلى عالم الذكر الذي هو يسبق عالم الخلق، الآية هنا تتحدث فتقول بأنه لم يكن شيئاً مذكوراً يعني لم يكن في عالم الذكر، هناك عالم الذكر قبل عالم الخلق، وفي البداية تظهر صورة المخلوق في ذلك العالم ثمَّ يُخلق المخلوق – **ذِكرُكُم فِي الذَّاكِرِينَ** – هو تجلي أهل البيت في ذلك العالم – **وَأَسمَاؤُكُم فِي الأَسمَاءِ** – في عالم الأسماء وأولها عالم الأسماء الحسنى هُمّ الأسماء الحسنى هُمّ الصفات العليا صلوات الله عليهم – **وَأَجسَادُكُم فِي الأَجسَادِ** – مظاهرهم في عالم الأجساد – **وَأَروَاحُكُم فِي الأَروَاحِ** – مظاهرهم في عالم الأرواح – **وَأَنفُسُكُم فِي النُّفُوسِ** – مظاهرهم في عالم النفوس – **وَآثَارُكُم فِي الآثَارِ** – مظاهرهم في عالم الآثار في كل ما يصدر عن المخلوقات، في كل ما هو موجود في عالم الطبيعة – **وَقُبُورُكُم فِي القُبُورِ** – وقبوركم في القبور أيضاً مظاهرهم في عالم القبور، أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين هم في عالم القبور وهو عالم البرزخ لهم مظاهرهم ولهم إمامتهم وولايتهم، عالم القبور ليس هو هذا العالم الذي يتصوره الناس في البناء والطابوق، عالم القبور هو عالم البرزخ وهو عالم وسيع أوسع من عالم الدنيا.

في الكافي الشريف الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه: **إنَّ الله خَلَقَنا فَأحسَنَ خَلقَنا وَصَوّرَنا فَأحسَنَ صُورَنا وجَعلنَا عَينهُ في عِبادِه ولِسَانهُ النَاطِق في خَلقِه ويَدَهُ المَبسوطَة عَلى عِبادِه بَالرأفَة والرحمَة وَوَجهُه الّذي يُؤتىَ مِنه وبَابهُ الّذي يَدلُ عَليه وخُزّانه في سَمَائه وأَرضِه بِنا أَثمَرت الأشجَار وأَينَعَت الثِمار وَجَرَت الأَنهَار وبِنا يَنزِلُ غَيثُ السّماء ويَنبُت عُشبُ الأرض وبِعبادَتِنا عُبِدَ الله ولولا نحن ما عُبِدَ الله.**

عن الإمام الباقر عليه السلام: **نحنُ المَثاني الّذي أعطَاهُ الله نَبيّنا محَمَّداً صلى الله عليه وآله ونحنُ وَجه الله نَتَقَلّبُ في الأرضِ بينَ أَظهُرِكُم ونَحنُ عينُ الله في خَلقِه ويَده المَبسوطَة بالرَحمَة عَلى عِبادِه**

عَرَفَنا مَن عَرَفنا وجَهِلَنا مَن جَهِلنا – نحنُ وَجهُ الله نَتَقَلّب في الأرض: كيف يتقلبون في الأرض؟ يتقلبون في الأرض وفي السماء الحديث عن الأرض، الأرض هنا مصداق، مصداق من المصاديق، يتقلبون بمظاهرهم، لهم مظاهر، لهم صور في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود، مظاهرهم في عالم التشريع في عالم التكوين، كما أن مظاهرهم لا حصر لها في كتاب الله كذلك مظاهرهم في عالم التكوين لا حصر لها.

نقرأ في روايات أهل البيت الرواية: **عن داوود بن كثير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أنتم الصلاة في كتاب الله عزَّ وجلَّ وأنت الزكاة وأنتم الحج؟ فقال: يا داوود نحن الصلاة في كتاب الله عزَّ وجلَّ ونحن الزكاةُ ونحن الصيامُ ونحن الحجُ ونحن الشهرُ الحرام ونحن البلد الحرام ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله ونحن وجه الله، قال الله تعالى:** ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ **ونحن الآيات ونحن البينات وعدونا في كتاب الله الفحشاءُ والمنكرُ والبغيُّ والخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ والأصنامُ والأوثانُ والجبتُ والطاغوتُ والميتةُ والدمُ ولحم الخنزير** – قبل قليل قرأنا بأن الذي يشرب ماء الفرات يكون دماً مسفوحاً أو لحم خنزير لأنه يرتبط بهذه الأصول بهذه الجذور المعاني مترابطة – **يا داوود إن الله خلقنا وأكرم خلقنا وفضّلنا وجعلنا أمناءه وحفظته وخزّانه على ما في السماوات وما في الأرض** – كيف يكون خُزّان على ما في السماوات وما في الأرض لابد أن يكون لهم مظهر في كل طبقةٍ من طبقاتها – **وجعل لنا أضداداً وأعداءً فسمَّانا في كتابه وكنَّى عن أسماءنا بأحسن الأسماء وأحبها إليه تكنيةً عن العدو، وسمى أضدادنا وأعداءنا في كتابه وكنى عن أسماءهم وضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه وإلى عباده المتقين** – كل هذه إشارات وعناوين إلى مظاهرهم الكثيرة التي لا تُعدُّ ولا تحصى في كل طبقةٍ من طبقات هذا الوجود، في كل مرحلةٍ من مراحل هذا الخلق.

وأحاديث أهل البيت كثيرةٌ وفيرةٌ في هذا المعنى وفي هذا المضمون وهنا الزيارة تتحدث عن هذه الحقيقة، تتحدث عن مظاهرهم وعن إمامتهم وعن ولايتهم وعن أسماءهم وعن أسماء أسماءهم، حين أتحدث عن أسماءهم لا أتحدث عن ألفاظ، أسماء أهل البيت حقائق نورية موجودة في باطن هذه الكائنات – **بِأَبِي أَنتُم وَأُمِّي وَنَفسِي وَأَهلِي وَمَالِي ذِكرُكُم فِي الذَّاكِرِينَ وَأَسمَاؤُكُم فِي الأَسمَاءِ وَأَجسَادُكُم فِي الأَجسَادِ وَأَروَاحُكُم فِي الأَروَاحِ وَأَنفُسُكُم فِي النُّفُوسِ وَآثَارُكُم فِي الآثَارِ وَقُبُورُكُم فِي القُبُورِ** – على المعنى الثاني هو عالم البرزخ – **فَمَا أَحلَى أَسمَاءَكُم وَأَكرَمَ أَنفُسَكُم وَأَعظَمَ شَأنَكُم وَأَجَلَّ خَطَرَكُم وَأَوفَى عَهدَكُم وَأَصدَقَ وَعدَكُم** – هذه العبارات بحاجة إلى شرح لكنها تحتاج إلى وقتٍ طويل وأين هو الوقت!

كَلامُكُم نُورٌ وَأَمرُكُم رُشدٌ – كلامكم نور هذه العبارة نقف عندها إن شاء الله في وقتٍ آخر نتحدث عنها بالتفصيل – **كَلامُكُم نُورٌ** – كلامهم نور في أفق العلم، في أفق الصدق، في أفق الهداية، في أفق

البصيرة، وفي أفق التكوين، فإن التكوين من كلمات الله سبحانه وتعالى، والكلمة الأتم هم، ومن الكلمة الأتمّ اشتقت بقية الكلمات، فكلامهم نور – **كَلامُكُم نُورٌ وَأَمرُكُم رُشدٌ** – والرُشد هو مضادٌ للغواية مضادٌ للضلالة – **كَلامُكُم نُورٌ وَأَمرُكُم رُشدٌ وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقوَى** – إذا ما وصيتم فإنكم توصون الناس بالتقوى وتقودون الناس إلى الخير – **وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقوَى وَفِعلُكُمُ الخَيرُ وَعَادَتُكُمُ الإِحسَانُ** – لا يصدر منكم إلا الإحسان، العادة هو الفعل المتكرر الذي يصبح اعتيادياً بحيث لا يعرف الإنسان غيره – **وَعَادَتُكُمُ الإِحسَانُ وَسَجِيَّتُكُمُ الكَرَمُ** – السجية هي الطبيعة وليس التطبع.

هناك من الأخلاق ما هو سجية ما هو طبيعة، وهناك منها ما هو تطبع يحاول الإنسان أن يتكسبه – **وَسَجِيَّتُكُمُ الكَرَمُ وَشَأنُكُمُ الحَقُّ وَالصِّدقُ وَالرِّفقُ وَقَولُكُم حُكمٌ وَحَتمٌ وَرَأيُكُم عِلمٌ وَحِلمٌ وَحَزمٌ إِن ذُكِرَ الخَيرُ كُنتُم أَوَّلَهُ وَأَصلَهُ وَفَرعَهُ وَمَعدِنَهُ وَمَأوَاهُ وَمُنتَهَاهُ** – بعض الكلمات بحاجة إلى بيانات لغوية إن شاء الله أبيّنها بشكلٍ موجز في الحلقة القادمة والحلقة القادمة يوم غد هي الحلقة الأخيرة لأن وقت البرنامج وقت هذه الحلقة صار طويلاً جداً، أكتفي بهذا القدر وإن كان في بالي وكان بودي وفي نيتي أن أتحدث عن موضوعات أخرى تلاحظون هناك العديد من المصادر ما فتحتها ولا قرأت فيها لأن هذا المقطع من أهم المقاطع في الزيارة الجامعة الكبيرة وكما قلت في بداية الحديث بأنه يمثل مرحلة الترقي ما بعد وصول الإنسان إلى الدرجة الأولى من درجات التشيع.

الشيعي الحقيقي هو الذي تنطبق عليه المواصفات التي مرت علينا في المقطع السابق من الزيارة الجامعة الكبيرة، هذا المقطع يمثل مرحلة ترقي ما بعد تلكم المرحلة، بقية الكلام إن شاء الله تأتينا في يوم غد في الحلقة الأخيرة من برنامج الزيارة الجامعة الكبيرة وهي الحلقة الثلاثون إن شاء الله تعالى، أعتذر إليكم من الإطالة أسألكم الدعاء وأتمنى لكم التوفيق في معرفة مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وألتمسكم الدعاء أن أوفق لمعرفة إمام زماني صلوات الله وسلامه عليه ألقاكم غداً نفس الموعد نفس البرنامج وأنا نفس خادمكم، في أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ